

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

رقم:

العنوان:

صالح باي ومحمد الكبير في الجزائر خلال القرن 12هـ/18م - دراسة مقارنة
في الأعمال والإنجازات

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث 1519 - 1830

إشراف:

فاتح بلعمري

إعداد:

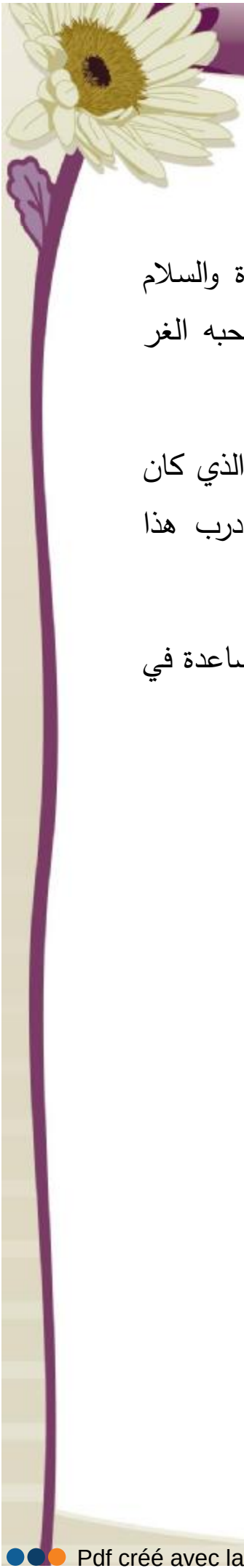
قادري حياة

حيثامة زينب

إسم ولقب الأستاذ	المؤسسة الجامعية	الصفة
فاتح بلعمري	جامعة المسيلة	مشرف مقرر
عمران عبد الحميد	جامعة المسيلة	رئيسا
بن حامد السعدية	جامعة المسيلة	ممتحنة

السنة الجامعية: 2019 - 2020





الشكر والعرفان

الحمد لله المنعم على عباده بالهدى ودين الحق والصلاة والسلام
على نبيه الهادي إلى أقوم طريق وأفضل سبيل وعلى آله وصحبه الغر
الميامين وبعد:

بداية نتقدم بشكرنا الخالص للأستاذ الفاضل فاتح بلعمري الذي كان
نعم الموجه لنا بنصائحه التي كانت النبراس الذي أضاء لنا درب هذا
البحث المتواضع فجزاه الله كل خير.

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى كل من مدوا لنا يد العون والمساعدة في
إخراج هذه الدراسة.

الإهداء

إلى روح أبي الطاهرة رحمه الله.

اهدي ثمرة جهدي هذا الى اعز وأعلى إنسانة على حياتي، التي أنارت دربي
بنصائحها، وكانت بحرا صافيا يجري بفيض الحب والبسمة، الى من زينت حياتي
بضياء البدر، وشموع الفرح، الى من منحتني القوة والعزيمة لمواصلة الدرب، وكانت
سببا في مواصلة دراستي، الى من علمتني الصبر والاجتهاد، الى الغالية على قلبي
،أمي حفظها الله وأطال في عمرها.

- الى إخوتي: عبد الحليم، عبد المالك، عبد العزيز.
- الى أخواتي: خديجة، حورية، نورة، دليلة، زكية، رشيدة، نسيمه، فيروز، وابنة
- أختي حنان، وزوجة أخي حليم لويضة.
- الى أستاذي الفاضل فاتح بلعمري حفظه الله.
- الى كل صديقاتي وزملائي وزميلاتي.
- الى كل الأشخاص الذين احمل لهم المحبة والتقدير.
- الى كل من وقف معنا من قريب أو بعيد لانجاز هذا العمل، بجهده ودعائه.
- الى كل من نسيه القلم وحفظه القلب.

حياة

قائمة المختصرات

الرمز	الكلمة	الرمز	الكلمة
Numéro	N°	تحقيق	تح
Revue Africain	R.A	ترجمة	تر
Page	p	تقديم	تق
Page page	p.p	طبعة	ط
		تعليق	تع
		الجزء	ج
		ميلادي	م
		هجري	هـ
		دون تاريخ	د.ت
		العدد	ع
		صفحة	ص
		صفحة صفحة	ص ص

مقدمة

مقدمة

مقدمة:

لا يزال البحث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني خصباً ومتواصلاً يستقطب اهتمام الباحثين في مختلف الجوانب والفترات، وذلك من أجل الوقوف عند الأحداث والوقائع، وكذا الظروف التي عايشتها الجزائر في الفترة الحديثة، خاصة فيما يخص دور الحكام العثمانيين وبصماتهم وما خلفوه في الجزائر من أعمال وإنجازات داخل الإيالة وضمن مقاطعاتهم، وما اخترناه في دراستنا هذه هما شخصيتان ذاع صيتهما آنذاك في القرن 12هـ/18م، إحداهما كان صالح باي (1771-1792) في بايلك الشرق الجزائري والآخر الباي محمد الكبير (1778-1792) في بايلك الغرب الجزائري.

ونظراً لتعدد الآراء واختلافها بين الباحثين حول جهود كل من صالح باي ومحمد الكبير، فهناك من اعتبر أن فترة حكمهما امتداد لسابقتها دون إنجاز يذكر وهناك من يرى عكس ذلك، وهدفنا من هذه الدراسة هو إجراء مقارنة بين الشخصيتين وفي محاولة منا لعرض جل أعمالهم وإنجازاتهم، وعرض نقاط الاتفاق والاختلاف فيها، وهو ما سيتم التطرق إليه من خلال هذه الدراسة.

أسباب اختيار الموضوع:

- الرغبة الشخصية لدراسة هذا الموضوع، كونه يمس مجال تخصصنا تاريخ الجزائر الحديث (1519-1830)، وتسليط الضوء على مختلف الجوانب الخاصة بالبايات على وجه الخصوص صالح باي ومحمد الكبير.

- التعرف أكثر على شخصية كل من صالح باي و الباي محمد الكبير، وكذا مشاريعهما الرامية للبناء الفكري والحضاري.

- عقد مقارنة بين أعمال وإنجازات كليهما ، باعتبار أن هذا الموضوع لم يقدم كدراسة أكاديمية متكاملة رغم تنويه العديد من الباحثين بإنجازتهما، وبالتالي ارتأينا مواصلة التعمق أكثر بالموضوع بغرض الاستفادة والاستفادة.

مقدمة

الإطار الزمني والمكاني:

في سبيل أن يأخذ هذا البحث طريقة منهجية أكاديمية، حددنا الإطار المكاني له والمتمثل في بايلك الشرق الجزائري وبايلك الغرب الجزائري، أما الإطار الزمني للبحث، تمثل في فترة القرن الثاني عشر هجري والثامن عشر ميلادي (12هـ/18م).

الإشكالية:

إن محور إشكالية البحث يدور حول سؤال رئيسي وهو: كيف ساهمت أعمال وانجازات كل من صالح باي ومحمد الكبير في إقامة نهضة حضارية في الجزائر خلال فترة القرن 12هـ/18م؟ وما هو جوهر الاتفاق والاختلاف في إصلاحاتهما؟

ولمناقشة هذه الإشكالية، وجب علينا الإجابة على عدة تساؤلات فرعية أهمها:

- ما هي أبرز الأعمال والانجازات التي قام بها كل من صالح باي ومحمد الكبير في كل من المقاطعتين الشرقية والغربية ؟

- ما هي أهم المؤسسات الثقافية التي شيدها في إطار النهوض بالحركة العلمية على الرغم من انشغالاتهما العسكرية ؟

- ما هو وضع كل من بايلك الشرق وبايلك الغرب في ظل حكمهما ؟

- ما هي أهم نقاط الاتفاق والاختلاف في مشاريعهما ؟

المنهج المتبع:

إقتضت طبيعة الموضوع انتهاج منهجية تاريخية متنوعة بتنوع مضامين الفصول، فقد اعتمدنا في البداية على المنهج التاريخي الوصفي من أجل الإحاطة بكل جوانب الموضوع من خلال معرفة شخصية كل من صالح باي ومحمد الكبير، وكذا مشاريعهما الرامية للبناء الفكري والحضاري، من خلال وصف منشآتهم العمرانية، وتنظيماتهم السياسية والاقتصادية، وإصلاحاتهم الثقافية وخدماتهم الاجتماعية، إضافة الى المنهج المقارن الذي

مقدمة

استخدمناه للكشف على أوجه التشابه والاختلاف في أعمالهما، زيادة عن ذلك تم الاعتماد على مناهج أخرى واكبت الدراسة ، كالمنهج التحليلي.

هيكل الدراسة:

لدراسة موضوعنا والإجابة على الإشكالية المطروحة اعتمدنا على خطة بحث مكونة من ثلاث فصول وخاتمة وهي كالتالي:

-**الفصل الأول:** كان بعنوان التعريف بصالح باي وإنجازاته [1725-1771/1792-1792] ، وقد قمنا في هذا الفصل بالتعريف بصالح باي وأهم نشاطاته السياسية والإدارية وكذا مشاريعه الاقتصادية ومنشآته العمرانية، وخدماته الثقافية والاجتماعية بالإضافة إلى أعماله العسكرية.

-**الفصل الثاني:** جاء تحت عنوان التعريف بالباي محمد الكبير وأهم إنجازاته [1734-1778/1792-1799]، وتضمن تنظيماته الإدارية والسياسية، وأعماله العسكرية، بالإضافة إلى سياسته في المجال الاقتصادي ومشاريعه العمرانية وكذا إصلاحاته الاجتماعية ومآثره الثقافية.

-**الفصل الثالث والأخير:** فكان بعنوان مقارنة بين أعمال وإنجازات كل من صالح باي ومحمد الكبير، من خلال إبراز أوجه التشابه والاختلاف بينهما.

المصادر والمراجع الأساسية:

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على جملة من المصادر والمراجع التي أفادتنا كثيرا للإحاطة بمختلف جوانب الموضوع ومن أهمها نذكر:

أهم المصادر:

-كتاب مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر (1168-1248هـ/1754-1830م)، قام بتحقيقه أحمد توفيق المدني، يعد من أهم المصادر التي

مقدمة

اعتمدنا عليها في هذا البحث، كونها تحدثت عن الفترة الأخيرة من العهد العثماني، خاصة الحديث عن الولاة والحكام والبايات في الجزء الأول منه.

-الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني لأحمد ابن سحنون الراشدي، الذي قام بتحقيقه الشيخ المهدي البوعبدلي، أفادنا هذا الكتاب في وصف شخصية الباي محمد الكبير ومختلف أعماله وإنجازاته، خاصة العمرانية منها وكذا الانجازات الثقافية.

-رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي لأحمد ابن هطال التلمساني، يعتبر هذا الكتاب من الرحلات التي سجلت فيها كل الأحداث التي وقعت سنة 1785، واستخدمناه في التعريف بشخصية الباي محمد الكبير وذكر حملاته العسكرية التي شنها على جنوب الصحراء (عين ماضي)، بغرض جمع الضرائب وإخضاعهم لسلطة البايلك.

-كتاب فريدة منسية في حال دخول الترك لبلد قسنطينة الذي قام بتحقيقه يحي بوعزيز، واستخدمناه في التعريف بشخصية صالح باي وذكر أهم مآثره الحضارية التي قام بها.

-كتاب تاريخ بلد قسنطينة للحاج أحمد بن المبارك العطار.

أهم المراجع:

-كتاب ورقات جزائرية لمؤلفه ناصر الدين سعيدوني، أفادنا هذا المرجع كثيرا من خلال احتوائه للعديد من الشروحات حول رحلة صالح باي لجنوب الصحراء، وعن كيفية إخضاع كل القبائل تحت إمرته.

-كتاب فاطمة الزهراء قشي بعنوان سجل صالح باي للأوقاف (1185-1207هـ/1771-1792م)، إستخلصنا منه خدمات صالح باي الاجتماعية المتمثلة في الأوقاف.

-كتاب صالح عباد الموسوم بعنوان الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830م)، وكتاب محمد بن عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791م) سيرته، حروبه، أعماله، قطاع

مقدمة

الدولة والحياة العامة في عهده لأحمد توفيق المدني. هاذين الكتابين تحدثا عن كل من الشخصين صالح باي ومحمد الكبير واهم انجازاتهم.

هذا بالإضافة الى مجموعة من الدوريات والمجلات ذات الصلة بالموضوع، المنشورة في كل من المجلة الإفريقية، مجلة عصور جديدة، مجلة العلوم الإسلامية والحوار المتوسطي وغيرها.....

وكذلك بعض الرسائل الجامعية المتمثلة في أطروحات الماجستير والدكتوراه كرسالة بلبورات بن عتو بعنوان الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري 1779-1797، وكذا القواميس والمعاجم مثل سهيل صابان بعنوان المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية.

الصعوبات:

- صعوبة ترجمة الكتب الأجنبية التي تخدم الموضوع.
- صعوبة التنسيق في كتابة المذكرة بيني وبين زميلتي.
- صعوبة اقتناء الكتب وتوفير المادة العلمية اللازمة بسبب إنقطاع وسائل النقل ضف إليها غلق المكتبات في الفترة الأخيرة بسبب الأزمة التي مسّت جميع العالم من ضمنها الجزائر بسبب انتشار جائحة فيروس كورونا المستجد.

الفصل الأول

التعريف بصالح باي وأعماله

[1792 - 1771/1792 - 1725]

أولاً: نشأته

1. مولده (1792-1725)

2. خصاله

3. توليه الحكم (1792-1771)

4. وفاته

ثانياً: إنجازاته وأعماله

1. نشاطاته السياسية والإدارية

2. أعماله الحربية

3. مشاريعه الاقتصادية ومنشأته العمرانية

4. خدماته الثقافية والاجتماعية

أولاً: نشأته

1. مولده (1725 - 1792):

هو صالح باي بن مصطفى أزميرلي أحد بايات قسنطينة، ولد بمدينة أزمير التركية غرب الأناضول 1725، نشأ في أسرة ميسورة الحال ثم شاءت الأقدار أن يغادر موطنه سنة 1755 وهو لم يتجاوز السادسة عشر من عمره، خوفاً من محاكمته في جريمة قتل أحد أقربائه على وجه الخطأ⁽¹⁾.

بغية تفادي العقاب هاجر صالح باي إلى الجزائر، وعمل هناك قهواجي بمقهى الأوجاق⁽²⁾، وقد سمح له هذا العمل رغم بساطته في التعرف على أوضاع البلد وبعض القادة، الذين لم يخلوا بمساندته في الحصول على إذن من مجلس الديوان يسمح له بالانخراط في الجيش (الميليشيا التركية) للعمل بها قبل أن يرسل إلى مدينة قسنطينة لدعم الفرقة التركية المعسكرة بها، والمشاركة في حملة جمع الضرائب من الأرياف⁽³⁾.

2. خصاله:

لقد أشاد أحمد الشريف الزهار بالماثر الحسنة لصالح باي وقال أنه رجل خلق محب للعلماء والصالحين، محسن للفقراء والرعية⁽⁴⁾، وهذا ما أكده Berbrugger قائلاً: "إن أخلاق صالح باي صفة نادرة لدى كبار موظفي الأتراك آنذاك"⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ محمد الصالح العنزي، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، تع، يحي بوعزيز، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 62.

⁽²⁾ الأوجاق: كلمة تركية لها عدة معان، كل ما يشعل فيه النار من طين أو قرميد أو حديد وألقى على الجماعة التي يلتقي أفرادها في مكان واحد، كما أطلقت على صنف من الجنود كالسباهية وهم فرق من العساكر في الجيش الانكشاري. للمزيد ينظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص 42.

⁽³⁾ ناصر الدين سعيدوني ورفقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2008، ص 240.

⁽⁴⁾ أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر 1754-1830، تح، أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 65.

⁽⁵⁾ A.BERBOGER, "Documents sur alger a l'époque du consulat et de l'empire", R.A, N°32, p35.

تميز صالح باي بشجاعته وقوة شخصيته، فكان صارما في مواقفه، قاسيا في أحكامه، اشتهر شهرة واسعة وذاع صيته في كافة أنحاء البلاد وتميز بحسن إدارته وعدله،⁽¹⁾ وكرمه وسخائه⁽²⁾.

هذا وقد أثنى عليه صالح العنتري، بوصفه أنه رجل عاقل، له سيرة مليحة وسياسته مستحسنة حميدة؛ حيث كان ينصر المظلومين، يساعد الفقراء والمحتاجين، وقد اشتهر هذا القائد المحنك بالبسالة وأصالة الرأي بين أقرانه، فكان عصره عصر رخاء وانتعاش في بايلك الشرق⁽³⁾، فيعتبر صالح باي الحاكم الأكثر لفتا للانتباه بين حكام قسنطينة كان نشيطا، محاربا وإداريا⁽⁴⁾.

3. توليه الحكم (1771 - 1792):

بدأت شخصية صالح باي تبرز على الساحة السياسية في قسنطينة حيث أظهر مهارة وقوة كبيرة في حروبه، خاصة بعد مشاركته في حملة باي أزرق العينين⁽⁵⁾، ضد تونس فقد أبدى مقدرة وشجاعة كبيرة أثارت انتباه أحمد القلي⁽⁶⁾، خاصة بعد مرافقة صالح باي له، باعتباره كان مسؤولا عن البريد (الباش سيار)⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ربحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص ص 101-102.

⁽²⁾ جيمس ليندر كاتكرت، مذكرات أسير الداي كاتكرت قنصل أمريكا في المغرب، تر وتو وتو، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص52.

⁽³⁾ صالح العنتري، المصدر السابق، ص75.

⁽⁴⁾ صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، 1514-1830، دار هومة، الجزائر، 2012، ص177.

⁽⁵⁾ أزرق العينين: هو حسن باي، حكم مقاطعة قسنطينة بين 1754-1756، تركي المولد برز أثناء الحملة على تونس وهو صهر بوحناك. للمزيد ينظر: أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص21.

⁽⁶⁾ أحمد القلي: حكم ما بين 1756-1771، وكان أغا على مدينة القل بنواحي سكيكدة لعدة سنوات فلقب بالقلي، وعرف

بغزاته ضد القبائل الكبرى في جويلية 1757. للمزيد ينظر:

ERNEST. MERCIER, Histoire de Constantine, Mar et F. biron, imprimeurs, Editeurs 51, Constantine, 1903, p266.

⁽⁷⁾ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص249.

عززت أواصر الصداقة بين أحمد القلي وصالح باي، فقربه منه وزوجه ابنته وولاه قيادة الحراكمة عام 1762 لمدة ثلاث سنوات⁽¹⁾، هذه القيادة التي كانت تستند عادة إلى أهم شخصية في البايك بعد الباي.

بعد وفاة خليفة الباي في قسنطينة استدعاه صهره الباي أحمد القلي وعينه خليفة له سنة 1765، وقد عرف صالح باي بمقدرته وحنكته الإدارية في تسيير شؤون البلاد، وكذا بمهارته العسكرية وحسن تدبيره في الحملات الموسمية للمحلة، إضافة إلى رضوخه إلى أوامر الباي، هذا ما جعل الداوي محمد عثمان باشا يعينه خليفة لأحمد القلي بعد وفاته سنة 1771⁽²⁾.

4. وفاته:

بعد وفاة الداوي محمد عثمان باشا تولى بعده حسن باشا⁽³⁾، هذا الأخير الذي أصدر أمرا بعزل صالح باي؛ وتعيين ابراهيم باي الملقب ببوصبع مكانه⁽⁴⁾، لكن صالح باي لم يسلم بهذا الأمر واتفق مع مواليه بقتل بوصبع⁽⁵⁾.

نتيجة لهذه الحادثة برزت حقيقته وسيرته واستاء أهالي قسنطينة عليه وتم تعيين حسن بوحنك⁽⁶⁾. كباي جديد الذي سهل عليه القبض على صالح باي وتم تنفيذ حكم الإعدام فيه

⁽¹⁾ صالح عباد، المرجع السابق، ص 177.

⁽²⁾ أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 بمسيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 133.

⁽³⁾ أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 136.

⁽⁴⁾ إبراهيم باي (بوصبع): نصب بايا على قسنطينة في 21 أوت 1792، وفي نفس الليلة هم عليه صالح باي ورفقائه وقتلوه وعاد صالح باي للسلطة. للمزيد ينظر: صالح العنتري، المصدر السابق، ص 66.

⁽⁵⁾ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 25.

⁽⁶⁾ حسن بوحنك: هو حسن باي أو الملقب ببوحنك بن حسين، حكم قسنطينة من 1736 إلى غاية 1754. للمزيد ينظر: محمد المهدي علي شعيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر تاريخ مدينة قسنطينة، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، 1980، ص 371.

يوم الأحد 1 سبتمبر 1792 ودفن بمقبرة الكتانية ولا يزال ضريحه إلى اليوم بجانب أفراد عائلته⁽¹⁾.

من بين الأسباب التي ذكرها المؤرخون في مقتل صالح باي نذكر:

ما جاء به نقيب أشرف الجزائر أحمد الشريف الزهار "... كان سببا في مقتل الخرناجي أحمد باشا وبنت الخرناجي كانت (تحت) حسن باشا قبل ولايته، ولما مات محمد باشا وولى على حسن باشا طالبته (زوجته ابنة الخرناجي) ... بقتل صالح باي لتأخذ بثأر أبيها..."⁽²⁾.

وهناك من يقول كثرة أعدائه ومنافسيه من الأتراك⁽³⁾، بسبب سياسة الضرائب المفروضة على السكان ومصادرة أملاكهم بالإضافة إلى نفور رجال الدين من أسلوب صالح باي الداعي إلى النهوض بالمعارف والعلوم الدينية باعتبارها معارضة لسياستهم⁽⁴⁾.

ثانيا: أعماله وإنجازاته

1. نشاطاته السياسية والإدارية:

لقد كان لصالح باي سياسة مميزة في جباية الضرائب التي تختلف عما سبقه من البايات الذين اعتمدوا على القوة والغارات لجلبها، حيث اعتمد على أسلوب اللين والمدارات لفرض ضرائبه، كان كثيرا ما يخرج بمحله⁽⁵⁾، إلى مكان قريب من البلد ثم يرسل الشواش والصباحية ليجمعوا المغارم التي عليهم من دراهم ويقر⁽⁶⁾.

(1) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، دار الأمة، الجزائر، 2003، ص282.

(2) أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص64.

(3) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص251.

(4) أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص139.

(5) المحلة: جمعها محلات، وهي الفرق العسكرية التي ترسل إلى الريف بقصد استخلاص الضرائب، ومعاقبة الممتنعين وحفظ الأمن وتأديب العصاة. للمزيد ينظر: عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تقديم أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 2003، ص309.

(6) مؤلف مجهول، تاريخ بايات قسنطينة، المرحلة الأخيرة، تح، حساني مختار، منشورات دحلب، الجزائر، 1999، ص9-10.

بغية كسب صالح باي ثقة الأهالي، فبدلاً من أن يشترط حمولة بغير من القمح وأخرى من الشعير عن كل محراث، فقد اكتفى بأن يقبض مكان ذلك مبلغ 15 فرنكا، كما أنه اُكثرت للفلاحين مقابل 27 فرنكا، كل ما يمكن أن يغطيه طوال السنة محراث يجره ثوران⁽¹⁾. تمثلت كذلك سياسته بالخصوص بفرض ضريبة موحدة على الأراضي الزراعية عرفت بضريبة الجبري وهي تساوي خمسة وعشرون صاعاً من الحبوب و 10 شبكات من التبن؛ وبمقتضى هذه الضريبة قسم البايك إلى قسمين: شرقي وغربي يفصل بينهما واد الحمام⁽²⁾، وخصص قائدين لاستخلاص تلك الضريبة، أحدهما يشرف على القسم الشرقي والآخر على القسم الغربي⁽³⁾.

لقد كان لهذا النظام الذي أحدثه صالح باي دوراً في تشجيع الفلاح على الإنتاج واستتباب الأمن، كما ساهم في عدم تكليف الدولة إلا القليل من الموظفين⁽⁴⁾. أما بالنسبة للجهاز الإداري الذي استحدثه صالح باي فقد تكون من مجموعة من الموظفين، على رأسهم الخليفة الذي يعمل على قيادة المحلة نيابة عن الباي وقائد الدار المتكلف بنفقات دار الباي وعائلته وكذا بالسهر على مخازن القمح البايك، والخزناجي المتصرف في جميع المصالح المالية للباييك، باعتباره المشرف على نفقاته، بالإضافة إلى

⁽¹⁾ حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تح، محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005، ص108.

⁽²⁾ ناصر الدين سعيدوني، "الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر - تونس - طرابلس - المغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر (من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر، "حوليات الأدب والعلوم الإنسانية، ع13، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، 2010، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص21.

⁽³⁾ نفسه، ص21.

⁽⁴⁾ أرزقي شويّام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519 - 1830، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص288.

آغا الدائرة الذي يوكل إليه تأديب القبائل المتمردة، وشيخ البلد الذي يتأمر الأماناء الحرفيين ولا ننسى الكتاب والشواش⁽¹⁾، حيث كان للباي أربعة شواش أتراك⁽²⁾.

2. أعماله الحربية:

1 - داخليا:

قام صالح باي بالعديد من الأعمال الحربية العسكرية، المتمثلة في الحملات الفصلية من أجل استخلاص الضرائب، ومعاقبة الجهات الممتنعة والقبائل المتمردة عن السلطة. حارب صالح باي قبائل الزواوة⁽³⁾، 1772⁽⁴⁾، وأخضع قبائل أولاد نايل في 1773 واقتحم الجلفة وبوسعادة وهزمهم شر هزيمة⁽⁵⁾، كما قمع عصيان أولاد عمور عام 1775 وبسط نفوذه على آفلو، تاجموت، زنيطة والأغواط⁽⁶⁾، وفي إطار حملاته الفصلية لاستخلاص الضرائب شن حملة على قبيلة الزمول وعشيرة السقنية جنوب قسنطينة، وفي عام 1776 هاجم صالح باي أولاد بن عاشور⁽⁷⁾، بفرجية وكرر هجماته ضدهم لغاية 1781؛ بسبب عصيانهم وامتناعهم لدفع الضرائب والاعتراف بسلطة البايك⁽⁸⁾.

⁽¹⁾ الشواش: عددهم ثمانية، أربعة من الترك يرتدون الزي العسكري مختلف عن شواش الباشا يعينهم الباي، مهمتهم هي تنفيذ العقوبات، والأربعة الآخرين لفرض النظام ويقال لهم شواش من العرب. للمزيد ينظر: بن عودة المازري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وفرنسا في أواخر القرن 19، تح، يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص 273.

⁽²⁾ نادية فليسي، أوضاع الجزائر من عهد محمد بن عثمان باشا إلى غاية عهد حسين باشا (1766-1836م / 1179-1245هـ) - الأوضاع السياسية والاقتصادية نموذجاً؛ أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ العام، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، 2017-2018، ص 90-91.

⁽³⁾ الزواوة: هي قبائل منتشرة في المناطق الوسطى جنوب شرق العاصمة، يتشكلون من حوالي ثلاثون قرية غير خاضعة للضرائب. للمزيد ينظر: صالح عباد، المرجع السابق، ص 51.

⁽⁴⁾ نفسه، ص 177.

⁽⁵⁾ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية....، المرجع السابق، ص 242.

⁽⁶⁾ أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 137.

⁽⁷⁾ أولاد بن عاشور: اختلفت الآراء حول أصلهم، هناك من يقول أنهم من الصحراء والبعض الآخر يقول أنهم من قبيلة كوفة بنواحي قالمة. للمزيد ينظر: صالح عباد، المرجع السابق، ص 252.

⁽⁸⁾ CHRLS, FERAUD, "Ferdgioua et Zouar'a. Notes historiques sur la province, de Constantine", in, R.A, N°22, 1878, pp 6-7.

وفي عام 1788م، قاد حملة عسكرية ضد منطقة الزيبان وواد ريغ لاستدراج شيخ الذواودة محمد الذباح، وإخضاعه تحت إمرته وشيخ تقرت فرحات بن جلاب لرفضهما الامتثال لأوامر الباي بدفع الضرائب اللازمة عليهم⁽¹⁾.

كما عمل صالح باي جاهدا على ضم بني ميزاب⁽²⁾، حيث وقع معهم اتفاقية يشرط فيها إبقاء بني ميزاب حرة مستقلة بتدبير شؤونها بنفسها على أن تدفع سنويا للخرينة مقدار معلوم من المال. ومن هنا نلاحظ مدى شجاعة صالح باي من أجل تثبيت حكمه، لدرجة وصوله الى جنوب البايك المتميز بصعوبة المناخ الحار ولم يصله احد البايات قبله.

2 - خارجيا:

إهتم صالح باي بعد توليه لمنصب الباي بتأمين حدود بايلك قسنطينة من خلال موقفه الصارم تجاه باي تونس حمودة باشا⁽³⁾، (1783-1787)، ذلك بعدما اقتحمت بعض القبائل التونسية حدود الجزائر في منطقة تبسة، فطالب صالح باي تعويضات مالية عن الخسائر التي أحدثها جنود حسن الكبير بعد ملاحقته لتلك القبائل، وحصل من خلالها باي قسنطينة على تعويض يقدر بـ خمسة وعشرون ألف سكة⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية....، المرجع السابق، ص242.

⁽²⁾ بني ميزاب: هم من الاباضييين اللاجئين، موطنهم الأصلي هو واد ميزاب في الجنوب الجزائري يتمتعون بامتيازات كانت كانت تضمنها لهم الحكومة. للمزيد ينظر: وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تح، عبد القادر زبانية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006، ص90.

⁽³⁾ حمودة باشا: ولد 8 ديسمبر 1759، أمه جارية من أعلاج الفرج، اسمها محبوبة، يقال أنه ولد في الجزائر، حافظا ومتمكنا بعلم الكلام والفقه، وشديد التعلق بالحياة العسكرية. للمزيد ينظر: أحمد ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس عهد الأمان، ج:3، دار العربية للكتاب، 1999، ص11.

⁽⁴⁾ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص244.

وفي 1775/07/16 شارك صالح باي في صد الهجوم الإسباني على مدينة الجزائر بقيادة الكونت أوريلي (Oreille)⁽¹⁾، بعد عودته من تأدية الدنوش⁽²⁾، بالجزائر؛ فجمع قوات متكونة من أربعين ألف رجل بقيادة صهره حسن العنابي بمدينة عنابة⁽³⁾، هذا ما أورده أحمد الشريف الزهار قائلا: "... جاء صالح باي قسنطينة من ناحية الواد وقدم أمام الاسبنيول الألوفا من الإبل، فلما قربت من المتارز ابتداء القتال..."⁽⁴⁾.

لما وصل صالح باي لمنطقة الحراش أمر بجمع كل الإبل للهجوم على الأعداء عند نفورها من اندلاع النيران، كما جاء خليفة باي وهران ورؤساء الجهات الأخرى فتوحدوا جميعا ضد العدو وألحقوا به خسائر كبيرة من سلاح وأموال... وعدد لا يكاد يحصى من الموتى والجرحى⁽⁵⁾، يقول الله تعالى: "ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا"⁽⁶⁾.

كل هذا راجع لحيلة صالح باي الحربية التي ساهمت في القضاء على الإسبان "فقد طلب بإحضار الصوف ووضعها فوق الجمال وعند إشعالها تندفع الإبل نحو خنادق الإسبان فداست خنادقهم وبذلك انهزموا"⁽⁷⁾، واشتهرت هذه الحادثة بعام الرمل لوقوع الاشتباكات برمال برمال الشاطئ على ساحل مدينة الجزائر⁽⁸⁾. وهذا الأمر إن دل على شيء إنما يدل على

⁽¹⁾ الكونت أوريلي (OREILLY): ينحدر من أصول إيرلندية، استقر بإسبانيا وعمل بجيشها وترقى في رتبة حتى صار ضابطا، قاد حملة ضد الجزائر 1775. للمزيد ينظر: جون وولف، الجزائر وأروبا 1500-1830، تع، أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، الجزائر، 2008، ص 403.

⁽²⁾ الدنوش: هي تقديم الضرائب التقليدية للداي مرة كل ثلاث سنوات. للمزيد ينظر: صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، 1826-1850، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص ص 25-26.

⁽³⁾ صالح عباد، المرجع السابق، ص 177.

⁽⁴⁾ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 26.

⁽⁵⁾ محمد المهدي علي شعيب، المصدر السابق، ص 377.

⁽⁶⁾ القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية 25.

⁽⁷⁾ مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ص 9-10.

⁽⁸⁾ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1793)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 505.

ولاء وطاعة صالح باي لأوامر دار السلطان واحترامه لما تصدره من فرمانات ودليل ذلك تلبية لمواجهة العدو الاسباني في خارج حدود بايلكه.

3. مشاريعه الاقتصادية ومنشآته العمرانية

1.3. سياسته الاقتصادية:

1.1.3. الزراعة

إهتم صالح باي بالجانب الزراعي خاصة وأن فترة حكمه قد شهدت تراجع لمداخل البحرية، لهذا عمل جاهدا على تحسين أوضاع الزراعة وتنمية الإنتاج الفلاحي واستحدث مزروعات جديدة مثل الأرز؛ الذي حاول زراعته بسهولة الحامة مستدعيا في ذلك بنظام ري دائم معتمد على تشغيل عدد من النوريات لرفع الماء إلى مشاتل الأرز⁽¹⁾، كما شجع زراعة الزيتون واهتم بغرس البساتين والمزارع⁽²⁾، بل وبادر بزراعته في منزله الريفي المعروف اليوم اليوم بسيدي محمد الغراب⁽³⁾.

والملاحظ عليه الطابع الفلاحي على نشاط سكان قسنطينة، باعتباره المورد الرئيسي الذي يؤمن معيشة غالبية السكان، هذا وقد اشتهرت تربية المواشي التي أصبحت حرفة مكملة لزراعة أراضي العرش⁽⁴⁾ الجماعية⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية....، المرجع السابق، ص249.

⁽²⁾أحمد بن المبارك بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تح وتو وق، عبد الله الحمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011، ص138.

⁽³⁾ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية....، المرجع السابق، ص 249 - 250.

⁽⁴⁾أراضي العرش: هي الأراضي المشاعة على القبيلة الواحدة، المعروفة بالسبقية في الناحية الوهرانية، وبالعرش في الجهات الجهات الوسطى والشرقية، يستغلها كل حسب طاقته وتمول المؤسسات الدينية. للمزيد ينظر: حنفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر العثماني، ط1، دار الهدف، 2008، ص152.

⁽⁵⁾سعودي يمين، الحياة الأدبية في قسنطينة (خلال الفترة العثمانية)، مذكرة ماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الاخوة منتوري، قسنطينة، 2005 - 2006، ص44.

لم يهمل صالح باي استصلاح السهول، التي تغلب عليها المستنقعات وتقع على ضفاف نهر سييوز بنواحي عنابة؛ حيث قام بإنشاء شبكة من القنوات لصرف المياه الراكدة إلى مجرى النهر⁽¹⁾.

عمل صالح باي على استغلال السهول الخصبة القريبة من عين مليلة، حيث أقطع فرسان المخزن⁽²⁾، المعروفين بالزموّل الأراضي الواسعة باستغلالها لحسابه الخاص، كما أقر قبيلة السفنية بالأراضي الخصبة بنواحي الفزقية وعين كرشة؛ قصد استغلالها زراعيًا وجعل جزء منها حضيرة لتجهين خيول البايك، ومكانًا ملائمًا تحفظ فيه تلك الخيول لوقت الحاجة⁽³⁾.

1.2.3. الصناعة والتجارة

عرفت قسنطينة خلال عهد صالح باي نشاطًا صناعيًا، وبالرغم من بساطته واعتماده على صناعات محلية يدوية، فقد اهتم صالح باي وشجع أصحابها على اختلاف مهنتهم وحرفهم.

في ظل حكم صالح باي أصبحت قسنطينة تعج بالأسواق المزدهرة بالورش المختلفة، وهذا ما أورده لنا محمد العربي الزبيري: "هناك 28 سوقًا وسوقة و21 بساطًا (ممر تجاري) وسبع تربيّعات يتجمع بها صناع النسيج و3 رحبات لعرض السلع، 5 أفران للخبز، 27 مطحنة رحي منها لطحن الحبوب، منها خمسة داخل المدينة تعالج يوميًا ما يعادل 600 قنطار من الدقيق"⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ صالح عباد، المرجع السابق، ص178.

⁽²⁾ فرسان المخزن: وهي الفرسان التي قامت السلطة العثمانية بتجنيدتها كقوة ضاربة يحفظ الأمن وتحصل الضرائب في الأرياف ومقاومة أي تمرد ضد السلطة. للمزيد ينظر: مصطفى الأشرف، الجزائر والأمة والمجتمع، تر، حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص81.

⁽³⁾ صالح عباد، المرجع السابق، ص178.

⁽⁴⁾ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، في العهد العثماني (1830-1972)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص142.

من أبرز الصناعات التي اهتم بها صالح باي؛ الجلود، النحاس، الجلد النسيج، أدوات الطين والخياطة...⁽¹⁾.

والجدير بالذكر أن صالح باي قد أولى اهتماما بالتجارة الداخلية والخارجية بقسنطينة من خلال توسيعه للأسواق ودعمه للحرفيين وتنظيمه للأماكن الحرفية وتقسيمها للعديد من الأصناف، فهناك للحدادين والسخارين (النحاس)، السراجين والخرازين (اسكافي)، صناع الأحذية والفرسان والبشماقين (أنواع البشماق والريحية)⁽²⁾، وبالتالي أصبحت قسنطينة ملتقى للقوافل التجارية.

شهدت الموانئ البحرية توسعا وتطورا ملحوظا، خاصة في سكيكدة عنابة والقالية، هذا ما أورده لنا صالح العنتري بعبارته: "هو الذي أسس مرسى سكيكدة وشهرها، وصار كل الأجناس يأخذون الوسق منها. وقد انجرت له من تلك المرسى فوائد عديدة وذخائر ثمينة نفيسة"⁽³⁾.

1.3.3. منشآته العمرانية

لقد اهتم صالح باي بالجانب العمراني وذلك ببناء العديد من المؤسسات الثقافية المتنوعة من مساجد ومدارس وغيرها، والتي بقيت صرحا حضاريا يشهد على مجهوداته إلى اليوم.

***جامع سيدي الكتاني:** بني هذا الجامع في عهد صالح باي سنة 1776، حيث أنشأ بجواره مدرسة تعرف بالمدرسة الكتانية، يقع هذا الجامع بالجهة الشمالية من المدينة أسفل القصبة بجوار سوق الجمعة،⁽⁴⁾ المعروف حاليا بسوق العصر، وهو يفتح من جهة الغرب

(1) محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص142.

(2) حسان كشرود، رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية 1659-1830، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008، ص38.

(3) صالح العنتري، المصدر السابق، ص62.

(4) سوق الجمعة: يقع هذا السوق في الطرف الشمالي من المدينة بين حي القصبة وحي الشارع وسوق العصر، وهو يتربع على مساحة كبيرة، تتفتح عليها عدة طرق وشوارع تربطها بالقصبة وسوق العصر ورحبة الصوف والشارع وباب القنطرة.

على نهج بن الموفوف، ومن جهة الجنوب الشرقي نهج بوهاالي العيد، وسمي نسبة للولي الصالح⁽¹⁾، الذي بني المسجد فوق ضريحه⁽²⁾.

وقد جلب صالح باي دعائمه الرخامية وأهم مواد بنائه وزينته العمرانية من إيطاليا وأنفق عليه أموالا طائلة⁽³⁾.

***المدرسة الكتانية:** تأسست على يد صالح باي سنة 1775 تبركا بالولي الصالح سيدي عبد الله بن هادي المعروف بسيدي الكتاني،⁽⁴⁾ وتقع بجوار سيدي الكتاني وملاحقة له من الناحية الشرقية، وتفتح على بوهاالي العيد وتتكون هاته من طابقين: الاول في الجهة الجنوبية والثاني في الجهة الشرقية، ويتوسطها صحن (6.80×6.24م)، وتحيط بهاته المدرسة رواق بثلاث جهات؛ الجهة الشمالية منها تندمج مع المقبرة التي تضم قبر صالح باي وأسرته⁽⁵⁾.

وقد كانت المدرسة الكتانية تلقن الطلبة التعليم في مختلف الفنون والعلوم نذكر منها: **الفقه، الحساب، النحو، الفلك...**، ولعل الشهرة التي اكتسبتها هذه المدرسة تعود إلى النظام الدراسي الدقيق الذي استحدثه صالح باي ليسيير عليه الطلبة والمدرسون⁽⁶⁾.

للمزيد ينظر: عبد القادر دحدوح، قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية، دراسة تاريخية أثرية، ط1، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2015، ص185.

⁽¹⁾ محمد بسكر، الإنتاج المعرفي لمدينة قسنطينة ما بعد دولة الموحدين معالمه وأعماله، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة- الجزائر، 2015، ص254.

⁽²⁾ فاطمة الزهراء قشي، "معالم قسنطينة وأعلامها"، مجلة إنسانيات، ع19-20، جوان 2003، ص13.

⁽³⁾ محمد المهدي بن علي شعيب، المصدر السابق، ص240.

⁽⁴⁾ محمد السعيد قاصري، "المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان"، مجلة العصور الجديدة، ع18، أوت 2015، ص156.

⁽⁵⁾ عبد القادر دحدوح، المرجع نفسه، ص391.

⁽⁶⁾ طاهري عبد الحليم، مدرسة صالح باي ومقبرته العائلية في حي سوق العصر بمدينة قسنطينة، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص67.

*مدرسة سيدي لخضر:

يرجع بناء هذه المدرسة في عهد صالح باي، وذلك لسنة 1789⁽¹⁾، تقع هذه المدرسة بجوار الجامع الأخضر الذي بناه الباي حسن بن حسين الملقب بـ أبو حنك، تحتوي هذه المدرسة على خمسة من البيوت منها بيت للمدرس وأربعة للطلبة، مائضات وبيت لوضع الأمتعة، وتخضع هذه المدرسة لنظام دقيق يسير على ضوئه المدرسين والطلبة، وللالتحاق بهما فقد تم وضع جملة من الشروط أهمها:

- أن يقرأ ثلاث أوقات في اليوم وأجرته لا تتعدى 30 ريالا.
 - يشترط على الطالب أن يكون حافظا للقرآن الكريم.
 - الإقامة الدائمة بالمدرسة وعدم الخروج إلا للضرورة، ويشترط أن يكون أيضا غير متزوج⁽²⁾.
- زيادة على ذلك قام باي قسنطينة بإعادة ترميم جسر القنطرة عام 1792، واستخدم لأجل ذلك مهندسا إسبانيا⁽³⁾ والهدف من هذا المشروع هو تسهيل المواصلات في النواحي الشرقية والغربية للبايلك، التي كانت تسلكها الحملات العسكرية والقوافل التجارية⁽⁴⁾.
- لم يهمل صالح باي عمران مدينة قسنطينة وتجميلها، فجمل حي سيدي الكتاني وبنى إلى جواره منازل الخاصة قرب الجامع والمدرسة⁽⁵⁾، أما خارج مدينة قسنطينة فقد قام بتأسيس الجامع الكبير ببونه (عنايه) 1791، وأغدق عليه أموالا طائلة حصلها من عائدات سياسته الاقتصادية الراشدة⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ محمد المهدي بن علي شعيب، المصدر السابق، ص 243.

⁽²⁾ محمد بسكر، المرجع السابق، ص 250-251.

⁽³⁾ A.BERBRUGGER, "la province de Constantine, les anciens établissements religieux musulmans de Constantine" in R.A, N°12, 1868, p132.

⁽⁴⁾ فاطمة الزهراء قشي، المرجع السابق، ص 13.

⁽⁵⁾ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 245.

⁽⁶⁾ محمد السعيد قاصري، المرجع السابق، ص 155.

4. خدماته الثقافية والاجتماعية

4 - 1 - خدماته الثقافية:

إهتم صالح باي بتشجيع الحركة العلمية ببابليك الشرق حيث عرف عصره ازدهارا وانتعاشا كبيرا في الحركة الفكرية والثقافية؛ وما ساعده في ذلك إستقرار الأحوال وطول بقائه في الحكم.

من أبرز مآثره في هذا المجال بناءه للمؤسسات الثقافية، التي بقيت صرحا حضاريا يشهد على مجهوداته لليوم من أشهرها المساجد كمسجد سيدي الكتاني الذي شيده سنة 1776 وشيد إلى جانبه المدرسة الكتانية⁽¹⁾.

وفي 1791 قام ببناء الجامع الكبير ببونه أو بما يعرف بالجامع الجديد الذي تقنن الشعراء بمدحه:

لعمرك بيت الله لسر جامع	مشيدا أركانه به النور ساطع
بدت دونه رهز الكواكب رفعة	به بونة للسعد منها مطالع
به جاد تاج الدين والمجد صالح	إلى درج العلياء راق وطالع. ⁽²⁾

كما شيد العديد من المدارس أبرزها المدرسة الكتانية 1775، ومدرسة سيدي لخضر الملحقة بجامع سيدي لخضر 1798⁽³⁾، والملاحظ بأن الشأن الثقافي بلغ تطورا كبيرا بقسنطينة؛ وهذا ما نلمسه من خلال العدد المعتبر للمساجد الكبرى التي بلغت 5 مساجد⁽⁴⁾، أما المساجد الصغيرة فاقت 70، في حين قدر عدد الزوايا 13 زاوية⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ محمد الأمين شرويك، "جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة والتعليم في الجزائر العثمانية على ضوء المصادر المحلية والأجنبية"، مجلة العلوم الإسلامية، ع8، أفلو-الجزائر، 2018، ص ص575-576.

⁽²⁾ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ط1، ج1، دار الغرب، 1998، بيروت-لبنان، ص249.

⁽³⁾ محمد السعيد قاصري، المرجع السابق، ص 156.

⁽⁴⁾ الحسين بن محمد الورتيلاني، الرحلة الورتيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006، ص685.

⁽⁵⁾ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية....، المرجع السابق، ص248.

لكي تؤدي تلك المؤسسات الثقافية وظائفها استحدث صالح باي نظاما دراسيا دقيقا؛ يسير على ضوءه المدرسون والطلبة ويخضع لها العاملون بأماكن الدرس والعبادة وبالرغم من عدم اهتمام السلطة العثمانية بالتعليم إلا أنها عرفت بأطواره الثلاث الابتدائي، الثانوي والعالي، حيث بلغ عدد تلاميذ المدارس الابتدائية 1350 تلميذ وما يقارب 700 طالبا في التعليم الثانوي والعالي⁽¹⁾.

ما يمكن قوله عن التعليم عامة قد غلب عليه الطابع الديني⁽²⁾، أما العلوم الأخرى كالطب والرياضيات، الكيمياء، الفلك وغيرها؛ فإنها كانت متواضعة، هذا ما علق عليه الأمريكي وليام شالر قائلا: "وأما حالة العلوم فإنها مما لا جدوى في الحديث عنه، حيث أنها غير موجودة، أو هي متى كانت موجودة محتقرة، بل إن علم الطب نفسه لا يوجد من يدعيه..."⁽³⁾.

4-2 - خدماته الاجتماعية

*عناية صالح باي بالأوقاف:

لم يقتصر اهتمام صالح باي في الجانب السياسي والاقتصادي والثقافي، بل تعداه إلى الجانب الاجتماعي، وأولى اهتمام كبير بالمؤسسات الوقفية.

أشاد العديد من المؤرخين للجهد الكبير الذي قام به صالح باي بالبحث في الأملاك وإعادتها لصالح مؤسساتها فقد كان يشتري الخربات ثم يعيد بناءها في شكل مشاريع تجارية تذهب أرباحها لرعاية تلك المنشآت العامة وعمالها⁽⁴⁾، وعندما وصلته الأخبار بالتقصير الذي وقع في أوقاف المساجد وعمال الوكلاء إلى درجة أنها صارت مرابط للدواب أو خرابا،

(1) محمد الأمين شرويك، المرجع السابق، ص 577.

(2) الحسين بن محمد الورتيلاني، المصدر السابق، ص 285.

(3) وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تع وتق وتع، اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص 81.

(4) فاطمة الزهراء قشي، سجل صالح باي للأوقاف (1185-1207/1771م-1792م)، تصدير عبد الجلي التميمي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 67.

أصدر الباي قرارا في أفريل 1776؛ أمر فيه قضاته والمفتين كل من الشيخ عبد القادر الراشدي المفتي الحنفي، وشعبان بن جلول القاضي الحنفي والقاضي المالكية، أن يبحثوا عن أوقاف المساجد ويقيدها في أربعة سجلات متماثلة، تحفظ الأولى عند وكيل بيت المال، والثانية عند شيخ البلد، الثالثة عند قاضي الحنفية والرابعة عند قاضي المالكية⁽¹⁾.

وفي هذا السياق أضاف صالح باي إلى الجامع الأعظم؛ الذي يعتبر المرجع الأول للأوقاف الخيرية والأخير في الأوقاف الأهلية⁽²⁾، تسعة حوانيت، وأربعة حوانيت لمسجد سيدي الدبي، كما أوقف حانوت القبيلة على ضريح سيدي الكتاني حيث صرفت غلة الحانوت لوكيل الضريح، على أن يكون هذا الأخير متفقدًا له ويكون هو المتولي لغلته وفتحه والاطلاع على مصالحه⁽³⁾، بسبب السياسة الراشدة التي اتبعها صالح باي في تنظيم المؤسسات الوقفية، سار على نهجه جل بابايات قسنطينة.

⁽¹⁾ فاطمة الزهراء قشي، سجل صالح باي.....، المرجع السابق، ص9.

⁽²⁾ ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء القرنين 18 و 19 معالجة مصادره وإشكالية البحث فيه، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ص70.

⁽³⁾ فاطمة الزهراء قشي، سجل صالح باي.....، المرجع نفسه، ص138.

الفصل الثاني

التعريف بمحمد الكبير وأهم أعماله

[1792 - 1778/1799 - 1734]

أولاً: نشأته

1. حياته (1799-1734)
2. صفاته
3. تدرجه في الحكم (1792-1778)
4. وفاته

ثانياً: أعماله وإنجازاته

1. تنظيماته الإدارية والسياسية.
2. أعماله العسكرية.
3. سياسته في المجال الاقتصادي و مشاريعه العمرانية.
4. إصلاحاته الاجتماعية ومآثره الثقافية.

أولاً: نشأته

1. حياته: [1734-1799]

هو محمد بن عثمان الكردي، الملقب بالكبير⁽¹⁾، والأكل⁽²⁾، أمه جارية إسمها زائدة أهداها لأبيه مولاي إسماعيل⁽³⁾، سلطان المغرب الأقصى لمودة كانت بينهما، أما أبوه أبو إسحاق الحاج عثمان⁽⁴⁾، ابن إبراهيم الكردي، كان خليفة على مليانة⁽⁵⁾، ثم ارتقى وأصبح بايا على بايلك التيطري⁽⁶⁾.

بعد وفاة الحاج عثمان ترك أمر عائلته لصديقه إبراهيم الملياني، وتحت رعاية هذا الأخير نشأ محمد الكبير نشأة صالحة، ولما توسم خيرا به زوجه ابنته⁽⁷⁾.

لما ارتقى إبراهيم الملياني وعين على رأس بايلك الغرب، اخذ معه صهره محمد الكبير وعينه قائدا على فليته 1765 وأشركه في الحكم وأعمال الإدارة، ونظرا لما أظهره من قدرة

⁽¹⁾الكبير: لقبه بالكبير حسن إكراما له عندما فتح وهران. للمزيد ينظر: أحمد ابن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785، تحر وتو، محمد بن عبد الكريم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 16.

⁽²⁾الأكل: لقب بالأكل منذ صغره لسمرته. للمزيد ينظر: أحمد بن هطال التلمساني، المصدر نفسه، ص 16.

⁽³⁾مولاي إسماعيل: سلطان الدولة العلوية (1672-1727) خلف أباه مولاي الرشيد ونجح في إخضاع الأقاليم وتأسيس جيش منظم، شجع الاقتصاد وأنشأ مدينة مكناس. للمزيد ينظر: أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تح، ناصر الدين سعيدوني، ج7، دار الكتاب، الدار البيضاء، الجزائر، ص ص 46-45.

⁽⁴⁾الحاج عثمان: أصله من بلاد فرمان التركية، المواجهة لجزيرة رودس، تولى أوجاق الجزائر ثم ارتقى إلى منصب خوجة، ويعتبر من أفضل الدايات اللذين تولوا إدارة الجزائر. للمزيد ينظر: أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا...، المرجع السابق، ص ص 78-79.

⁽⁵⁾مليانة: تقع في منطقة مرتفعة بين خطي طول درجة 7 دقائق غربا، وتقع غرب الدائرة التي تسمى باسمها وهي دائرة مليانة، لها جو معتدل وتجري فيها مياه كثيرة وعذبة. للمزيد ينظر: عبد الرحمن الجيلاني، تاريخ المدن الثلاث، الجزائر، المدينة، مليانة، شركة إدارة الأمة، الجزائر، 2014، ص 289.

⁽⁶⁾ GORGUCES, A, " NOTICE SUR LE BEY D'ORAN MOUHAMMED ELKBIR", IN R-A, n°1, 1856, P404

⁽⁷⁾أحمد ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 17.

وحنكة في تسيير وتديرها، رقاها إلى منصب خليفة البايع وأوكل عليه تسيير إدارة القسم الشرقي من البايع⁽¹⁾.

2. صفاته:

تمتع محمد الكبير بعديد من الصفات والخصال، جعلت المؤرخون يشيدون بها، فقد كان هذا البايع شجاعا، نبيلًا، فاضلا، كريما، كثير الحلم والعلم⁽²⁾، فشجاعته كما يؤكد لنا ابن سحنون الراشدي: " فإنما أمر تذل به الأسود، وآراءه الجيدة وتديراته السديدة فإنها البذور السواطع... وحلمه فأمر شهير لا يحتاج في إثباته إلى سفير، وأما كرمه وإحسانه ونعمه وامتنانه فذلك قطب أمره الذي عليه مداره وبه علا على كل كوكب الملوك مقداره..."⁽³⁾

كان هذا البايع محبا للعلم وأهله، معروفا بقوته ورقة قلبه، فقد كان يعتني بالفقراء والمساكين، ويداوي بنفسه المرضى ويعالجهم ويتألم لوجعهم، ويوزع الأموال عليهم وعلى الطلبة القائمين على خدمته في المساجد⁽⁴⁾.

أما عن علاقته مع رؤساء الدول الإسلامية فقد كانت جيدة، حيث كان يتهادى معهم ويغيث من استجده لاسيما رؤساء الأقطار الثلاث مصر وتونس والمغرب الأقصى⁽⁵⁾، ولقد أثنى عليه أبو رأس الناصري قائلا "...العادل الأمين، الفاضل والأصيل، المتكلف بحفظ النفوس والأموال، هازم الأعداء، المجاهد المرابط..."⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، سلسلة المشاريع الوطنية الحديثة، وزارة المجاهدين، الجلفة، 2007، ص 223.

⁽²⁾ أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 30.

⁽³⁾ ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، اعتنى به عبد الرحمن دويب، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 144.

⁽⁴⁾ عميرواي أحميدة، الجزائر في أديات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003، ص ص 134، 136.

⁽⁵⁾ ابن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 289.

⁽⁶⁾ محمد أبو رأس الجزائري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته حياة أبي رأس الذاتية والعلمية، تح وتعد، محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت)، ص 100.

3. تدرجه في الحكم:

نتيجة لما امتاز به محمد الكبير من خصال، جعله يرتقي إلى مناصب عليا، حيث عين قائدا على فليته⁽¹⁾، بزمورة (1765-1769)، ثم خليفة للباي إبراهيم الملياني في القطاع الشرقي وقاعدته مليانة (1765-1779) وبعد مدة أشركه في حكومته ومنحه إدارة جميع الناحية الشرقية من الإيالة الغربية⁽²⁾، وجاء تعيينه في وقت كانت تعرف فيه الجزائر مجاعة كبيرة، وانتشار الطاعون⁽³⁾.

وفي سنة 1775، شارك محمد الكبير في الدفاع عن الجزائر بجيشه الباسل، ضد الإسبان بقيادة الكونت أوريلي (OREILLY)، حيث أبدى شجاعة باسلة فشكره الداوي محمد عثمان باشا شكرا جزيلا وأثنى عليه الناس جميعا⁽⁴⁾.

لما توفي إبراهيم باي 1771، طلبت الرعية أن يعين مكانه محمد الكبير بايا على الإيالة الغربية، كاد الداوي أن ينفذ رغبة الرعية، لولا تعرض أحد الأغنياء -إسمه الحاج خليل-⁽⁵⁾، لشراء هذا المنصب من الداوي، لكن بعدما توفي الحاج خليل في سنة 1778 إستجاب الداوي لرغبة الرعية وعين محمد الكبير بايا على الإيالة الغربية⁽⁶⁾.

4. وفاته:

بعد أن استقر محمد الكبير بوهران، التي اتخذها مسكنا ومستقرا له وافته المنية ببلاد صبيح ولاية الشلف، وهو في طريقه إلى مدينة الجزائر وذلك سنة 1798، بعدما ملك 20

⁽¹⁾فليته: قبيلة مشهورة، تولى قيادتها الباي محمد بن عثمان، قبل أن يعين بايا، وأكثر سكانها يرجعون إلى سويد، وكان العثمانيون يعينون قائدا خاصا عليها لخطورتها. للمزيد ينظر: ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 75.

⁽²⁾أحمد ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص ص 17-18.

⁽³⁾صالح عباد، المرجع السابق، ص 174.

⁽⁴⁾محمد المهدي بن علي شعيب، المصدر السابق، ص 185.

⁽⁵⁾الحاج خليل: يعرف عند الناس بالباي خليل، تولى منصب الباي في سنة 1779 أي بعد وفاة إبراهيم باي. للمزيد ينظر: ينظر: محمد بن يوسف الزباني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح وتو، المهدي بوعبدلي، اعتنى به عبد الرحمن دويب، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 259.

⁽⁶⁾أحمد ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 18.

سنة، بينما مسلم بن عبد القادر فيذكر في كتابه أنيس الغريب والمسافر أنه بقي 18 سنة⁽¹⁾، في حين الزياني فيذكر أنه بقي في المملكة 20 سنة⁽²⁾.

هذا ولقد روى لنا الحاج أحمد الشريف الزهار قصة وفاته بعد استعادة مدينة وهران أثناء أدائه مهمة جمع الدنوش قائلا: "...فلما أكمل أيام الضيافة بعد الثمانية، خرج من الجزائر مكر ما على أحسن حال فلما وصل إلى السائح بين خضرة كبير وأولاد قصير، وهي قبيلة كبيرة قريبة من مازونة توفي الباي هناك..."⁽³⁾، وقد اختلفت الآراء حول موت محمد الكبير فهناك من يقول أنه مات من غير مرض، في حين يقال أن حسن باشا بعث إليه من سقاه سما⁽⁴⁾.

دفن رحمه الله في مدرسة خنق النطاح، التي بناها من قبل بأمر من ابنه وخليفته على القطاع الشرقي للبايلك عثمان بن محمد الذي ولاه حسن باشا بايا للغرب خلفا لأبيه⁽⁵⁾.

ثانيا: أعماله وإنجازاته

1. تنظيماته الإدارية والسياسية:

لكي يحقق محمد الكبير العدالة ويقر الأمن، إتبع سياسة الترغيب معتمدا في ذلك على جهازه الإداري، الذي تكون من مجموعة من الموظفين وفي مقدمتهم الخليفة الأول الذي ينوب عن الباي بالجهة الشرقية لتحصيل الضرائب، وقد عرف بالخليفة الكبير باعتبار أن الداي هو من يعينه وكان هذا الخليفة مسؤول عن ثلاثة وعشرون قبيلة بمحيط الشلف، واتنا عشر قبيلة بنواحي تنس ويعمل على تحصيل الضرائب المختلفة منها⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 23.

⁽²⁾ محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 268.

⁽³⁾ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 63.

⁽⁴⁾ نفسه، ص 63.

⁽⁵⁾ محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص ص 204-205.

⁽⁶⁾ ابن عودة المزاري، المصدر السابق، 274.

وأما عن الخليفة الثاني يطلق عليه خليفة الكرسي الذي ينوب عن الباي في غيابه، بالإضافة إلى قائد الدار أو آغا الدائرة وهو أحد رؤساء فرسان المخزن ويقوم بتنظيم الفرق العسكرية في الأرياف، ويخرج مع الباي لمعاقبة القبائل العاصية⁽¹⁾.

وكذا الباش كاتب أو الكاتب العام، هو الذي يقوم بتحرير البرقيات ورسائل الباي وكل ما يتصل بالشؤون السياسية للبايلك، ويخضع له ثلاث نواب كتاب، يتولون تحرير محاضر الجلسات المتصلة بالعدالة والمرسلات العامة بين الباي والخلفاء كما لا ننسى الباش سيار المسؤول عن البريد والباش سايس أو قائد الزمالة المسؤول عن حيوانات البايك وحمايتها، بالإضافة إلى الباش شاوش المكلف بتنفيذ الأوامر الموجهة للأتراك⁽²⁾.

لقد انتهج محمد الكبير سياسة راشدة بعد توليه الحكم كباي على المقاطعة الغربية فقام بتنظيم البايك، وإصلاح شؤون الرعية والسهر على مصالحهم، فقد اتبع هذا الباي سياسة الترغيب والترهيب لإضفاء الأمن والاستقرار في المنطقة، فكان يسوس الرعية ويدبر أمورها بالإضافة إلى سياسته المتمثلة في إخضاع القبائل المتمردة والممتنعة على دفع الضرائب كقبائل بني عامر⁽³⁾، وقبيلة فليته بوهران⁽⁴⁾.

إن عملية تسليم ضرائب البايك للحكم المركزي كانت منتظمة، وتدفع باستمرار، ففي كل ثلاث سنوات كان محمد الكبير يذهب إلى مدينة الجزائر لتقديم الدنوش الكبرى للخزينة، المتمثلة في النقود، العبيد، الحياك، ريش النعام والزرابي⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ أحمد السليمانى، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، مطبعة دحلب، الجزائر، 1987، ص 40.

⁽²⁾ يحيى بوعزيز، وهران، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر، ص 79-80.

⁽³⁾ بني عامر: نسبة إلى زغبة ابن ربيعة ابن فاهيك ابن هلال بني عامر، وهم بطن كبير من مصر واستوطنوا التمثال الإفريقي في عهد الفاطميين إبان الزحف الهلالي. للمزيد ينظر: المشرفي عبد القادر الجزائري، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين من الأعراب كبنى عامر، تح وتق، محمد بن عبد الكريم، مكتبة الحياة، لبنان، 1990، ص 14.

⁽⁴⁾ ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 144.

⁽⁵⁾ يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 78.

أما عن علاقته مع رؤساء الدول الإسلامية كانت حسنة جدا، فقد كان يتهادى معهم الهدايا مرارا، ويغيث من استتجد به لا سيما رؤساء الأقطار الثلاثة: مصر، تونس والمغرب الأقصى⁽¹⁾.

2. أعماله العسكرية:

أ. داخليا:

عمل محمد الكبير على تأديب القبائل الرافضة على دفع الضرائب، وهذا ما تجسد في حملاته التي قام بها سنة 1785 نحو الجنوب، ومنها حملته على عرب طرارة أو الأنجاد، المتكونة من 1500 رجل، حيث انتزع منهم 400 جمل و 130 ألف خروف و 400 بندقية، وكذلك حملته على الأغواط وعين ماضي سنة 1785 حيث وصفها لنا تيدنا قائلا: "...على بعد أكثر من 200 جنوب المعسكر، خرج الباي بجيشه يتكون من 15 ألف رجل وفي أثناء الحملة تمكن من أخذ ومعاقبة 14 أو 15 دوارا... وتحصل على 67 ألف رأس ماشية، 5 آلاف جمل و 653 بغلا و 720 بقرة... فقد كان هناك ربح وفير"⁽²⁾.

كما أخضع قبيلة هاشم وأدمجها في المخزن، وقبيلة الحشم التي ضمها هي الأخرى للمخزن سنة 1790⁽³⁾، وشتت قبيلة فليته التي كانت تنافس قبيلة هاشم في أعمال الفساد والتمرد، كما فرض الضريبة على الأحرار⁽⁴⁾.

وعلى أثر هذا نرى بأن الباي استطاع بشجاعته وقوة شخصيته أن يقضي على التمردات الداخلية.

⁽¹⁾ أحمد ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 29.

⁽²⁾ عميرايو احميدة، المرجع السابق، ص ص 84-85.

⁽³⁾ عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 230.

⁽⁴⁾ صالح عباد، المرجع السابق، ص ص 174-175.

ب. خارجيا:

1. تحرير وهران 1792

بعدما سقطت مدينة وهران في يد الاحتلال الإسباني عام 1509⁽¹⁾، حاول العديد من بايات الغرب تحريرها من بينهم مصطفى بو شلاغم، شعبان الزناتي وغيرهما...، إلا أنهما فشلا، وبمجرد تولي محمد بن عثمان الكردي سدة الحكم، فكر في وجوب استعادة مدينة وهران فأذن له داي الجزائر آنذاك محمد عثمان باشا، فشرع بشن العديد من الهجمات كانت أولها سنة 1780 ثم كرر المحاولة سنة 1784 لكن لم يوفق لفتحها⁽²⁾.

والملاحظ أن أثناء استعداد الباي للهجوم على مدينة وهران مرة أخرى إذا بزلزلة تضرب المدينة يومي 8 و 9 من أكتوبر 1790، فتهدم معظم بنيانها ولقي العديد من السكان حتفهم، لتكون هذه الزلزلة حافزا لتحرك محمد الكبير نحو وهران، وبعد الهجمات التي قام بها الجيش، قرر الباي أن يبقي جيشه محاصرا لوهران إلى غاية 1791⁽³⁾.

وكنتيجة للعديد من المفاوضات التي دارت بين إسبانيا لرفع الحصار على مدينة وهران إنتهت بإبرام إتفاق بين داي الجزائر الباشا بابا حسن، والملك الإسباني كارلوس الرابع⁽⁴⁾. وفي يوم 17 ديسمبر 1791 تم انسحاب كلي للقوات من المنطقة ودخلها محمد الكبير في 22 فيفري 1792، ونقل مقر حكومته لمدينة وهران واتخذها عاصمة له⁽⁵⁾، وفي هذا الصدد يذكر لنا الأمير أنه: " لما علم ملك إسبانيا أن محمد باي قوي العزيمة، عظيم الرغبة في فتح وهران كتب إلى بابا حسن⁽⁶⁾، في تسليمها واشترط أن يسلمها على ما كانت عليه

(1) محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في أخبار الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق وتحرر، محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 23.

(2) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 99.

(3) أحمد ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 22.

(4) يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ص 105.

(5) المرجع نفسه، ص 106.

(6) بابا حسن: تولى الحكم سنة 1792، وتوفى نتيجة دملة في رجله سنة 1798 وفي عهده بني الجامع المنصور بالقصبة، وجنان الداى خارج باب الوادي وهو مستشفى ما يوفي الوقت الحالي. للمزيد ينظر: العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 18.

حين دخلتها جيوشهم وأن يخربوا جميع ما أحدثوه فيها من أبراج وقلاع فأجابه الوالي إلى ذلك أن يدفع مصاريف الحرب فقبل الملك وثم الإجماع⁽¹⁾.

2. دفاعه عن الجزائر ضد الحملة الإسبانية 1775

من مآثر محمد الكبير الحربية دفاعه عن الجزائر ضد الحملة الاسبانية، ففي سنة 1775، تحرك الإسبان لغزو الجزائر بأسطول عظيم، تحت قيادة الكونت أوريلي (OREILLY)، فشارك هذا الباي في الدفاع بجيشه الباسل⁽²⁾، حيث عسكرت محلة الباي في عين الربط، القريبة من عين الأزرق في شرق العاصمة حاليا⁽³⁾.

هذا وقد ضمت محله 4 آلاف فارس من فرسان العرب الدواوير، وأبدى هذا الباي إبان المعركة شجاعة كبيرة، وأذاق الجيش الاسباني مرارة الهزيمة، وشكره الداوي محمد عثمان باشا شكرا جزيلا وأثنى عليه الناس أجمعين⁽⁴⁾.

3. سياسته في المجال الاقتصادي وأهم مآثره العمرانية

*** مشاريعه الاقتصادية**

عرف بايلك الغرب خلال عهد محمد الكبير، العديد من النشاطات الاقتصادية التي تنوعت وتعددت مجالاتها في الزراعة، الصناعة والتجارة غير أنها تحكمت فيها ظروف معينة وأثرت فيها عوامل مختلفة.

⁽¹⁾ محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، مطبعة التجارية غرزوزي، جاويش، الإسكندرية، مصر، 1903، ص 112.

⁽²⁾ محمد المهدي بن علي شعيب، المصدر السابق، 185.

⁽³⁾ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1982، ص 241.

⁽⁴⁾ أحمد ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 18.

*الزراعة:

لقد ارتبط مفهوم الزراعة بملكية الأرض، ومن أهم أنواع الملكيات، التي كانت شائعة في المنطقة الغربية، نجد الملكيات الخاصة، أراضي البايلك، الأراضي المشاعة والأراضي الموقوفة، حيث كان لكل ملكية أساليب وطرق استغلالها⁽¹⁾.

على الرغم من الصبغة التقليدية لوسائل الزراعة، إلا أن بايلك الغرب، قد عرف المحاصيل الزراعية، لا سيما منها الحبوب فقد شجع محمد الكبير إنتاج الحبوب حتى قيل عنه أنه كان يزرع لحسابه الخاص، وعمل على تصديرها للخارج⁽²⁾.

والملاحظ أن هذا الباي قد سعى إلى انتهاج أسلوب الاحتكار فقد حاول البايات خلق زراعة موجهة من طرف البايلك، بعد أن تضاءلت مداخيل الجهاد وإقبال موظفو الدولة على استهلاك السلع والبضائع الأوروبية⁽³⁾.

عمل محمد الكبير على إنشاء المطامير العامة، في كل جهة لخزن القمح الاحتياطي كل سنة، حتى يتجنب أخطار المجاعات، التي عرفتھا المنطقة الغربية بل وفتح أبواب قصره للمحتاجين، ليقدم لهم كل ما يحتاجونهم من مأكّل وملبس⁽⁴⁾.

ونظرا لأهمية الحبوب باعتبارها مادة رئيسية للاستهلاك، فقد شهدت انتشارا كبيرا، حيث قدرت مساحتها في القطاع الغربي، ما يناهز 3500 جابدة بالإضافة إلى 5212 جابدة موزعة على موظفي البايلك⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية...، المرجع السابق، ص 15.

⁽²⁾ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 56.

⁽³⁾المرجع نفسه، ص 57.

⁽⁴⁾أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا...، المرجع السابق، ص 140.

⁽⁵⁾محمد العربي الزبييري، المرجع السابق، ص 59.

3-1-2- الصناعة والتجارة

*الصناعة:

سعى محمد الكبير جاهدا في تطوير الصناعة، لهذا فقد استدعى جميع السكان، من أجل النهوض بالنشاط الحرفي والصناعي بالمنطقة.

الملاحظ أن الصناعات الثقيلة، تكاد تكون منعدمة، إلا أن هذا الباي بذل جهدا كبيرا للنهوض بهذا النوع من الصناعات، وتجسد ذلك من خلال مصنعي الصابون والمدافع.

فقد شرع الباي بصناعة الصابون بنواحي تلمسان، وهذا عن طريق المعاهدة الجزائرية الإسبانية سنة 1786، واتفاقية 1791 واتفاق 10 أوت 1792 بين الباي وشركة كامبانيا⁽¹⁾، ونظرا لصعوبة التمويل بالمادة الأولية، بسبب رفض الإسبان تمويلها، وعلى الرغم من محاولات الباي بزرع الباريل المنتج للأشتان بوهران باعتبار أن الصابون كان يصنع في البداية باستخدام الأشتان الآتي من إسبانيا إلا أن محاولاته باءت بالفشل⁽²⁾. وما نؤكد في هذا المجال على أن محمد الكبير، قد حمل على عاتقه تنفيذ مشاريع مختلفة، وهذا ما جعله من الحكام الصالحين الذين شرفوا المنطقة الغربية خلال القرن 18.

أما عن مشروع صناعة المدافع فيعتبر من أهم المشاريع التي يعرفها بايلك الغرب خلال القرن 18، وهذا راجع للحاجة الماسة لها، باعتبارها أداة مهمة للدفاع عن المنطقة ضد العدو، فمسألة المدافع كانت إحدى أهم انشغالات محمد الكبير.

إستطاع هذا الباي أن يستفيد من خبرة الإسبانيين، الذين قدموا لوهران، حيث توسط لهم شخص يدعى سانتياغو غريمو S.Grimoi، وأكدوا لهذا الباي على أنهم عمال مهرة في المناجم، وهما من المسؤولين في مصنع البارود أولهما يدعى خوان رويز Khawan Rwyz والثاني جوليان فيارليال Julian Fayarliel، حيث أرسلهما الباي في مهمة استطلاعية

⁽¹⁾ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية...، المرجع السابق، ص 38.

⁽²⁾شنتوف طيب، دراسات في تاريخ الجزائر خلال القرنين 18 و 19، تر، أوزاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، 2015، ص 104.

للمناجم المتواجدة بمعسكر لإحضار عينات، ثم لإسبانيا لإحضار أسرهم وأربع حرافي أشتان، وقد ضلوا ثلاثة أشهر وهم يقومون بتجارب متكررة لإثبات خبرتهم في تدوين البرونز، ولكن هذا المشروع باء بالفشل.⁽¹⁾

ومما يتعلق بالصناعات اليدوية فقد عرفت هي الأخرى في المنطقة كصناعة النسيج، الجلود، الدباغة..، وعلى الرغم من أنها لم تكن مزدهرة إلا أنها كانت تقدر بعدة مليارات.⁽²⁾

***التجارة**

عرف بايلك الغرب خلال القرن 18 نشاطا تجاريا بنوعيه الداخلي على مستوى المدينة والخارجي عن طريق ربط علاقات خارجية، سواء مع الدول المجاورة أو مع بعض الدول الأوروبية وذلك راجع لتشجيع الباي محمد الكبير لحركة النشاط التجاري باعتبارها هي عصب الحياة الاقتصادية.

فبعد أن حرر محمد الكبير مدينة وهران عام 1792، عمل على تحويل التجارة الخارجية إلى أرزيو ووهران وهذا راجع إلى قربها من السهول المنتجة للقمح والشعير، الزيتون، التين، الكروم، الفواكه، الأغنام والأبقار، كما جدد العلاقات التجارية مع بعض الدول الأوروبية حيث تمكنت فرنسا في عهده من إنشاء الشركة الملكية الإفريقية في مدينة وهران، بعد أن أذن لهم الداوي محمد عثمان باشا بذلك، فكانوا يصدرون الحبوب والصوف والدواجن إلى بلدهم ويستوردون الرصاص والمعادن كما أن إنجلترا هي الأخرى أن تستفيد من ميناء المدينة لاستيراد حاجياتها والمرجان على السواحل القريبة منها.⁽³⁾

⁽¹⁾ شنتوف الطيب، المرجع السابق، ص 107.

⁽²⁾ مبارك بن محمد الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق وتصح، محمد الملي، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، [د.ت]، ص ص 314-315.

⁽³⁾ عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2013-2014، ص 138.

والملاحظ أن هذا الباي كان يقوم بشراء المحاصيل الزراعية بأسعار زهيدة لبيعها، وقد رفع سعرها كثيرة، ففي سنة 1787 تم تصدير 25 حمولة من القمح والشعير والخضر من ميناء أرزيو نحو أوروبا، والحبوب كان يشتريها من الفلاحين بسعر 880 قرش للصاع⁽¹⁾.⁽²⁾

واحتكر كذلك هذا الباي تجارة الشمع الذي كان يشتريه بـ 60 بدقة شيك للقنطار لبيعه 163 بدقة شيك، ويشترى الملح بـ 22 صولدي لبيعه بـ 45 صولدي، كما اشترى الصوف من الفلاحين بـ 15 جنية وباعها للأجانب بـ 24 جنية.⁽³⁾

ونظرا للدور الذي لعبه اليهود في الجانب الاقتصادي عمل محمد الكبير على استدعائهم لتعمير وهران فأصبحوا يسيطرون على تجارتها، وأصبح كبار تجار اليهود يتعاملون مع معظم الدول الأوروبية، وما ساعدهم على ذلك هي ثقة الباي بهم إضافة إلى استحواذهم على مناصب إدارية وأخرى سياسية.⁽⁴⁾

وما يمكن قوله أن التجارة في الجزائر خلال ق 18 قد عرفت ازدهارا كبيرا نتيجة لمساهمة الجالية اليهودية الذين حققوا أرباحا هائلة وهذا راجع لتوسيع نفوذهم سواء على الصعيد الداخلي والخارجي، وهذا ما دفع محمد الكبير لسماح لهم بالاستقرار في المنطقة الغربية للبايلك.

⁽¹⁾الصاع: يساوي 106 كغ بالنسبة للقمح، و 80 كغ بالنسبة للشعير، 135 بالنسبة للملح. للمزيد ينظر: مشرفي جميلة وبوغفالة ودان، "الأسواق في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (1519-1830)"، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، ع1، جامعة معسكر، 2017، ص136.

⁽²⁾ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ...، المرجع السابق، ص56.

⁽³⁾كمال صحراوي، أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012-2013، ص202.

⁽⁴⁾عبد القادر بلغيث، المرجع السابق، ص ص142-143.

3-1-3-أهم مآثر العمرانية:

إهتم محمد الكبير ببناء المدارس والمساجد خاصة والتي لعبت دورا رئيسيا في التعليم والتدريس منها:

*المدرسة المحمدية:

وهي نسبة للباي محمد الكبير بالغرب الجزائري، وبفضل هذه المدرسة تحولت مدينة معسكر إلى عاصمة علمية، وقد أشار إليها ابن سحنون الراشدي بقوله: "...وهي المدرسة التي كاد العلم أن ينفجر من جوانبها"،⁽¹⁾ وقد رتب لكل بيت في هذه المدرسة ما يكفي لشراء الزيت لكل شهر، ووضع للطلبة راتبا معلوما لهم.⁽²⁾

وبالنسبة للمواد التي كانت تدرس في هاته المدرسة فهي لا تقل عن المواد التي كانت تدرس بأشهر المدارس، حيث طغى عليها الجانب الديني واللغوي وبعض كتب التاريخ والسيرة، وقد يعود ذلك إلى تفكير العلماء الذي كان منصبا بالدرجة الأولى على الفقه والتفسير والحديث والشعر.⁽³⁾

*إعادة بناء الجامع العتيق:

أعاد محمد الكبير بناء الجامع العتيق الذي شيده والد عثمان باشا سنة 1761م، حيث أول ما قام به هو زيادة حجمه واستبدال منبره بمنبر أحسن من ذي قبل، ولم يقتصر دور

⁽¹⁾ أحمد ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص141.

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص141.

⁽³⁾ بوجلال قدور، مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات (1671-1830)، رسالة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران، 2016-2017، ص246.

هذا الجامع على أداء الصلاة فحسب، بل كذلك القيام بالوظيفة التعليمية من خلال إلقاء الدروس وتنظيم المناظرات الفكرية بين العلماء.⁽¹⁾

من خلال ما تقدم يبدو أنه أراد دفع الحركة العلمية والتعليمية في المنطقة عبر الاهتمام بالعلماء ومؤسسات العلم (المدارس والساجد).

***الجامع الأعظم في معسكر (1781):**

شرع محمد الكبير ببناء الجامع الأعظم أو المعروف ب جامع عين البيضاء⁽²⁾، في سنة 1781 من ماله الخاص، وهذا بعد أن اشترى أرضه بأعلى الأثمان،⁽³⁾ ويعد هذا المسجد من أبرز المؤسسات الدينية والعلمية المعروفة بمعسكر حيث نال إعجاب الناس في تلك الفترة فكانوا يقصدونه للعبادة والتسبيح من جهة، وللتنزه والنظر إلى جماله من جهة أخرى،⁽⁴⁾ وبفضل هذه التحفة الفنية الرائعة تحولت معسكر إلى حاضرة علمية مرموقة في بايلك الغرب.

***المدرسة الجليلية العظيمة بوهران (1793):**

أسست بخلق النطاح بوهران، التي بها ضريحه، وتعرف بمدرسة الباي، ثم تحولت إلى مسجد باسمه وهو جامع الباي وذلك في سنة 1799م،⁽⁵⁾ ويعتبر هذا المسجد من أجمل مساجد وهران في الفترة العثمانية من حيث الإبداع الفني والزخرفة الجميلة، بل ويشبه في

⁽¹⁾ أحمد ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص135.

⁽²⁾ Leclerc, Cherbonneau, "Inscriptions arabes de Mascara Mosquée d'Ain Beidha" in R.A, N°4, 1860, p42.

⁽³⁾ ابن عودة المزاري، المصدر السابق، ص136.

⁽⁴⁾ سعدية رقاد، "المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (1700-1830)"، مجلة العصور الجديدة، ع2، 2018، ص126.

⁽⁵⁾ عبد الحق شرف، "تراجم لبعض علماء مدرسة الباي في وهران من خلال بعض الآثار المخطوطة"، مجلة كان التاريخية، ع23، 2014، ص75.

تصميم مؤذنته مآذن المغرب والأندلس⁽¹⁾. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرص هذا الباي على بناء مؤسسات داخل المدينة في أجمل صورة وهذا باعتبار أن المنطقة هي عاصمة البايك.

***جامع الباشا (وهران):**

يعرف هذا الجامع بجامع الباشا نسبة للباشا "ابا حسن"، أسسه محمد الكبير سنة 1796 بأمر منه وتخليدا لفتح وهران، ويمتاز هذا الجامع بقبته وأصالة زخرفة مؤذنته،⁽²⁾ ويحكى أن الباي محمد لما فتح وهران ثم أعلم الباشا حسن بفتحها فرح كثيرا، ولما رأته زوجته في تلك الفرحة فأخبرته أن من اللائق لإعلام سرورك هذا أن تبني جامعا عظيما يبقى ذكرك مخلدا في الألسنة فعند ذلك أمر الباي محمد ببنائه.⁽³⁾

كما لا ننسى أيضا أن الباي محمد الكبير كان له الفضل الكبير في إصلاح الكثير من الميادين الدينية والمدنية العسكرية، فقد وسع جامع السوق بمعسكر وقام ببناء قناطر سورا مشهورا وطياننتين للمدافع⁽⁴⁾، كما بنا أيضا قصر الباي الواقع بشارع مفتاح قويدر بسيدي الهواري في الجهة الشمالية الغربية من مدينة وهران، وفي الجهة الشرقية بالنسبة من المدينة القديمة بنى هذا القصر داخل حصن روز الكازار الذي اتخذته الأسبان مقرا لحكمهم عندما احتلوا المدينة عام 1509،⁽⁵⁾ كما جدد أيضا المدرستين القديمتين بتلمسان مدرسة الجامع الكبير ومدرسة أولاد الإمام.⁽⁶⁾

⁽¹⁾ سعدي رقاد، المرجع السابق 128.

⁽²⁾ رشيد بوروينة، وهران فن وثقافة، وزارة الإعلام، الجزائر، [د.ت.]، ص 131.

⁽³⁾ ابن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 295.

⁽⁴⁾ ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 132-133.

⁽⁵⁾ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 148.

⁽⁶⁾ بلهورات بن عتو، "أضواء حول مدينة تلمسان خلال العهد العثماني"، مجلة الحوار المتوسطي، ع 1، جامعة سيدي بلعباس، ص 78.

4. إصلاحاته الاجتماعية ومآثره الثقافية:

1. اجتماعيا:

يعتبر الوقف أو الحبوس من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية، إذ يندرج ضمن الصدقات الجارية فهو يعبر أساسا عن إرادة الخير والتكافل الاجتماعي بين الأفراد، وقد عرف انتشارا كبيرا ببابيك الغرب خلال القرن 18، وهذا راجع لاهتمام الباي محمد الكبير له.

والملاحظ أن هذا الباي قد أولى عناية بالغة بالوقف، باعتباره القائم على استمرار وسيرورة المؤسسات التعليمية وتفعيل نشاط الطلبة والمدرسين،⁽¹⁾ فقد ذكر لنا ابن سحنون الراشدي أن محمد الكبير قد أوقف أوقاف كثيرة على مختلف المؤسسات التي قام بتشييدها وعلى رأسها الجامع الأعظم بمعسكر، هذا الأخير الذي ألحق به 16 حوضا للوضوء تجلب لها المياه عبر السواقي والقنوات من أراضي تتوفر على ينابيع كثيرة، كما أوقف عليه عدد كبير من أسفار الكتب ومخبزة ودكاكين وحمام وكل مرافق الحياة.⁽²⁾

يعتبر الجامع الأعظم من أغنى الجوامع في بابيك الغرب من حيث الأملاك المحبوسة عليه، فقد أحصت لنا اللوحة التذكارية المنقوشة على أحد جدرانها ذلك: 3 دور مياه، حمام، بستان، 21 حانوت وكوشة ومنبعين مائيين،⁽³⁾ كما أضاف 5 ميزات للوضوء للجامع العتيق وبئر عذب لجامع الباشا.⁽⁴⁾

ومما لا شك فيه أن الباي محمد الكبير قد أولى اهتمام كبير لحاجات السكان حيث أنشا العيون ومد قنوات صرف المياه وكما يقوله تعالى: "وجعلنا من الماء كل شيء حيا"⁽⁵⁾ قرر

⁽¹⁾ أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007، ص28.

⁽²⁾ ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص136.

⁽³⁾ أحمد مريوش، المرجع السابق، ص29.

⁽⁴⁾ ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص135.

⁽⁵⁾ القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية 30.

جلب مياه الحامة إلى المدينة وعمل على تجديد مرافق قنوات الحامة في 1788 وهذا من أجل المحافظة على المياه من التسرب.⁽¹⁾

لقد حرص محمد الكبير على تحسين الحالة الاجتماعية لسكان بايلك الغرب الجزائري وذلك من خلال اعتناؤه بالفقراء والمساكين فقد كان يوزع بنفسه الألبسة على العراة من الرعية ويداوي المرضى ويعالجهم ويتفاخر بقوله أنا طبيب الفقراء. وكان يوزع الأموال على الطلبة والمساكين والقائمين على خدمة المساجد في كل مناسبة عيد أو موسم أو فرح وكان يبعث الهدايا الثمينة إلى الحرمين الشريفين.⁽²⁾

1) ثقافيا:

منذ أن تولى محمد الكبير شؤون البايك ساهم في النهوض بالحياة الثقافية، وتشجيعا منه للحركة العلمية عمل على تقريب العلماء إليه والاهتمام بالنسخ والتأليف.

فقد عمل هذا الباي على تقريب العلماء إلى ديوانه ومجالسه خاصة في الأعياد والمناسبات وبدأ في تشجيع الثقافة وتنظيمها والاهتمام بأعلامها وفقهائها ومفكرها حيث فاق نشاطه في ذلك ما كان في الناحية الشرقية وبالتالي كان نصيب معسكر وعلمائها من هذا الإصلاح الثقافي بمثابة الانتعاش والازدهار لهاته الحاضرة العلمية بفعل وسائل التشجيع المعنوي والمادي الذي أوجدها هذا الباي.⁽³⁾

والجدير بالذكر أن هذا الباي قد وضع مرتبات للعلماء والمدرسين يأخذونها من الأحباس، بعد أن كان العلماء لا ينتفعون من ناحية المخزن بشيء إلا من كان متوليا بخطة أو مستعملا في خدمة، فاتسع بذلك حال العلماء وانشرت صدور القراء وكثر طلبة للعلم.⁽⁴⁾

⁽¹⁾نادية فليسي، المرجع السابق، ص61.

⁽²⁾أحمد ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص25.

⁽³⁾ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص143.

⁽⁴⁾أحمد مريوش، المرجع السابق، ص28.

كما شاعت في عهده حركة النسخ والتأليف وهذا راجع لتشجيعه الجاد لهذا العمل الثقافي، فقد أمر باختصار الكتب المطولة. ونسخ المخطوطات النادرة النفسية، وبعث التأليف في علوم شتى مع تكريم القائمين بذلك من الطلبة الأكفاء.⁽¹⁾

وقد أمر هذا الباي محمد ابن رقية التلمساني بالكتابة عن الحملة التي شنّها أوريلي (OREILLY) 1775، فتناولها هذا الكاتب في تأليفه سماه الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حيث أغارت عليهما الجنود الكفرة⁽²⁾.

وأمر أيضا المصطفى بن عبد الله زرفة بتدوين الأحداث التاريخية في فتح وهران، كما أمر كذلك احمد ابن سحنون الراشدي باختصار كتاب "الأغاني" وجمع "قاموس طب" وتأليف كتاب في الأدب، واشتهر من كتاب هذا الأخير "الثغر الجماني".⁽³⁾

كما كان يولي اهتمام بالشعراء فقد كان يجازيهم أحسن الجزاء ونذكر على سبيل المثال أنه قام بإهداء الحاج أحمد القرومي قيمة من الذهب وبعض الألبسة، كنتيجة لمدحه بقصيدتين الأولى عند تشييده للمسجد الكبير بمدينة معسكر والثانية نتيجة فتحه مدينة وهران.⁽⁴⁾

وتشجيعا للحركة العلمية قام محمد الكبير بإرسال بعثات علمية للشرق، خاصة بالأزهر وكان يمد العلماء سنويا بإعانات، وهذا دليل على رغبته في تكوين علماء ذوي مستوى عال، ولم يقتصر اهتمامه وتكريمه للعلماء على علماء الجزائر فقط، بل تجاوزت علاقته الثقافية الحدود الجغرافية للبلاد، فقد كان يرسل الهدايا للعلماء المشهورين مثل العالم المصري أبو

⁽¹⁾ بلبورات بن عتو، "الباي محمد الكبير باي وهران (1779-1797) حياته وسيرته"، مجلة العصور الجديدة، ع3، وهران، 2003، ص157.

⁽²⁾ ابن رقية التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين اغار عليها جنود الكفرة، نشره سليم بابا، مجلة التاريخ وحضارة المغرب، الجزائر، 1967، ص 2، 22.

⁽³⁾ محمد الأمين شرويك، المرجع السابق، ص 572.

⁽⁴⁾ أحمد ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص26.

لفيض المرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس في شرح القاموس، كما أكرم العالم المغربي الزباني صاحب الترجمانة الكبرى وذلك عندما نزل لوهران.⁽¹⁾

⁽¹⁾ مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، [د.ت.]، ص21.

الفصل الثالث

دراسة مقارنة بين أعمالهما

أولاً: أوجه التشابه

1. من حيث أعمالهما الحربية
2. إهتمامهما بالجانب الفلاحي والمحاصيل الزراعية
3. الاهتمام بالمنشآت العمرانية
4. إهتمامهما بالأوقاف
5. إهتمامهما بتشجيع الحركة العلمية

ثانياً: أوجه الاختلاف

1. تحرير وهران
2. من حيث الضرائب المفروضة
3. تقديم الدنوش (وقت القدوم والمنتجات المقدمة)
4. الاهتمام بالصحة والمجتمع
5. تشجيع حركة النسخ والتأليف
6. عداء صالح باي لشيوخ الزوايا والمرابطين عكس محمد الكبير

تمهيد:

عرفت كل من مقاطعة الشرق الجزائري بزعامة صالح باي، ومقاطعة الغرب الجزائري بقيادة الباي محمد الكبير إبان القرن 12هـ/18م، العديد من الإصلاحات والأعمال التي مست مختلف المجالات السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية ، فالدينية، والتي ساهمت بشكل كبير بازدهار إيالة الجزائر عامة والبايلكين الشرقي والغربي خاصة.

ونحن نسعى من خلال هذا الفصل إجراء مقارنة بين أعمال هاذين الشخصين، اللذان كان لهما صدى كبير في الجزائر، وكذلك سنعرض مواطن الاختلاف والتشابه بين كل منهما، وعلى هذا الأساس تم إجراء المقارنة التالية:

أولاً: أوجه التشابه

يعتبر صالح باي ومحمد الكبير من البايات المعروفين بإنجازاتهم وأعمالهم، سواء السياسية والعسكرية أو الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية، ومن خلال تقصي مختلف المجهودات التي بذلوها لمسنا بعض نقاط التشابه بينهما ومن مظاهرها نذكر:

1. من حيث أعمالهما الحربية:

بغية توسيع نفوذ البايلك ومث سلطة الدولة العثمانية أكثر نحو المناطق الداخلية، عمل كل من صالح باي ومحمد الكبير على إخضاع القبائل العاصية والمتمردة عن السلطة والممتنعة عن دفع الضرائب وتجسد ذلك من خلال رحلتيهما إلى الجنوب الصحراوي (12هـ/18م).

فمنذ أن توليا الحكم على المقاطعتين الشرقية والغربية، إهتما بإقرار الأمن والاستقرار في ربوع البايلكين، وكذا الحفاظ على جباية الضرائب، وهذا ما ذكرناه سالفاً، كما توحدت

أيضا جهود كليهما في حماية الجزائر من الخطر الصليبي المسيحي، وذلك بصد الهجوم الإسباني بقيادة الكونت أوريلي على مدينة الجزائر سنة 1775.

2. اهتماماتهم بالجانب الفلاحي والمحاصيل الزراعية:

كما أولى كل من صالح باي ومحمد الكبير عناية بالغة بالإنتاج الفلاحي والمحاصيل الزراعية خلال القرن 18م، وقد عرفت من خلالها إيالة الجزائر وفرة في إنتاج الحبوب خاصة القمح والشعير، لذلك نجد تشجيعهم لإنتاج هذه المادة خاصة بعد تراجع مداخل البحرية الجزائرية، وإقبال جل الموظفين على استهلاك البضائع الأوربية، حيث قام كلاهما بإنشاء المطامير والمخازن لتخزين هذه المادة تقاديا لأخطار المجاعة، كما أنهم استحدثوا العديد من المزروعات الأخرى كالزيتون والأرز والخضراوات وغيرها...⁽¹⁾.

هكذا كانت جهود كليهما في تطوير الجانب الفلاحي خاصة زراعة الحبوب نظرا لجودتها والإقبال عليها من الخارج، حيث خصصت لها أراضي خصبة بإمكانيات بسيطة حققت نتائج كبيرة.

3. الاهتمام بالمنشآت العمرانية:

لقد اشتهر الباي محمد الكبير وصالح باي بالاهتمام بالطابع العمراني، حيث عملا على توطيد الصلة القائمة بالعلماء عبر تشييد المدارس والمساجد التي لعبت دورا كبيرا في الاحتفاظ بالموروث الثقافي والعلمي للعلماء، وبها عرفت هاته البابليات قفزة نوعية ونهضة علمية متميزة خلال القرن 18م مقارنة بالقرون السابقة.

(1) ناصر الدين سعيد والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 56.

حيث كان صالح باي من الأوائل المبادرين في إنشاء المدارس والمساجد نذكر منها مسجد سيدي الكتاني 1776م، جامع سوق الغزل الذي شيد إلى جانبه مدرسة كما سبق وأن ذكرنا هذا، وكذا جامع الكبير ببونه المعروف بجامع الجديد سنة 1791م⁽¹⁾.

وبالمقابل ما نجده عند محمد الكبير الذي أسس المدرسة المحمدية التابعة للجامع الأعظم بمعسكر، والتي بفضلها تحولت المنطقة إلى حاضرة علمية، وجامع عين البيضاء 1781م الذي بناه من ماله الخاص⁽²⁾.

4. إهتمامهما بالأوقاف

ومعلوم أن الأوقاف نالت حيزا واسعا من اهتمام كلا البايان، وذلك بغية تبسيط الحياة المدنية والفكرية، فقد أظهر كل من صالح باي ومحمد الكبير أولوية العناية بالوقف في مشروعاتهما الثقافية، لأن ذلك يعني إستمرار دور المؤسسات التعليمية القائمة، وتفعيل نشاط الطلبة والمدرسين.

والملاحظ أن الباي محمد الكبير وقف أوقاف كثيرة على معظم المنشآت التي عمل على تشييدها، وفي هذا السياق يذكر ابن سحنون الراشدي؛ أن هذا الباي أوقف الكثير لاسيما على الجامع الأعظم بمعسكر من حدائق، وحوانيت، أفران، وخزائن كتب...⁽³⁾.

وبالمقابل نجد أن صالح باي قد قام هو الآخر بمجهودات جبارة لتنظيم الأوقاف وحمايتها، وتجسدت سياسته من خلال تعيين عمال يسجلون أملاك المساجد والمؤسسات

⁽¹⁾ عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ت)، ص 278.

⁽²⁾ ابن عودة المزارى، المصدر السابق، ص 296.

⁽³⁾ أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 29.

الخيرية التي عمل على تشييدها⁽¹⁾، ومثال ذلك حبسه على المدرسة الملحقة بالجامع الأعظم والمتمثلة في تسع حوانيت قبلية المفتوح، وكانت لصيقة بمسكنه سنة 1774، تواصلت عملية الوقف لعشر سنوات تزيد من ثروة المدرسة والجامع من جهة وتوزيع المحلات المجاورة له منه جهة أخرى⁽²⁾.

5. إهتمامهما بتشجيع الحركة العلمية:

يعتبر صالح باي ومحمد الكبير من البايات الأوائل المبادرين في إحياء الحركة العلمية، لعل هذا الاهتمام يعود إلى شخصيتهما المثقفة والشغوفة بالعلم، وهذا ما يبرز من خلال التقاطعات التي لمسناها لكليهما، فمنذ أن تول كل من صالح باي ومحمد الكبير الحكم ساهما في النهوض بالحياة العلمية، حيث عرف عصرهما ازدهارا وانتعاشا ثقافيا، وتجسدت مآثرهما في التقرب من العلماء والاهتمام بالتعليم ورجال الدين والفقهاء كأمثال الشيخ عبد القادر الراشدي، والقاضي الحنفي الشيخ شعبان بن جلول...⁽³⁾، عملا كذلك على إرسال بعثات علمية خصوصا للأزهر، بل وسهرا على إمداد العلماء سنويا بالإعانات⁽⁴⁾، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الرغبة في تكوين علماء ذوي مستوى راق وعالي.

ثانيا: أوجه الاختلاف

على الرغم من كل الإصلاحات التي قام بها كل من صالح باي ومحمد الكبير على مستوى المقاطعتين الشرقية والغربية، إلا أننا نلاحظ وجود العديد من نقاط الاختلاف في

(1) ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، المرجع السابق، ص 295.

(2) فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة، 2005، ص 107.

(3) محمد صالح عنتر، المصدر السابق، ص 21.

(4) مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 21.

أعمالهما، والتي أبرزت مواطن التنافس لتقديم ما هو أفضل لبابيك كل واحد منهما، ومن بين أهم هذه الأعمال نذكر:

1. تحرير وهران:

تظهر أوجه التباين بين البابين على الصعيد العسكري والمواجهات الخارجية لطرد العدو وذلك من خلال تحرير المدن من التواجد المسيحي الاسباني في البلاد، وتجسد ذلك من خلال تحرير مدينة وهران والمرسى الكبير على يد الباي محمد الكبير سنة 1792، ولقد اعتبرت هذه الحادثة منعرجا حاسما في بلورة العلاقات الجزائرية الاسبانية إبان القرن 18م، بل ونقطة حاسمة لصنع فجوة بين باي الغرب وباي الشرق صالح باي، هذا الأخير الذي لم يعرف مواجهات كثيرة مع الإسبان إذا ما قورن بمحمد الكبير.

ومن المعلوم أن قضية استرجاع وهران كانت الشغل الشاغل للباي محمد بن عثمان الذي استطاع تصفية الاحتلال الإسباني منها رسميا في 23 فيفري 1792م، ليدخلها فيما بعد وينقل مقر حكمه من معسكر الى وهران واتخذها عاصمة لبابيك الغرب⁽¹⁾.

ومن جهة أخرى إمتد هذا التباين بينهما إلى الجانب الاقتصادي من خلال سياستهما المفروضة في جباية الضرائب، وكذا تقديم الدنوش للداي من خلال المنتوجات المقدمة له ووقت قدومهم لدار السلطان أي السلطة المركزية للجزائر.

(1) صالح فركوس، تاريخ الجزائر من قبل التاريخ إلى غاية استقلال المراحل الكبرى، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2005، ص 154.

2. من حيث الضرائب المفروضة:

لقد برز اختلاف جلي في جباية الضرائب بين الباي محمد الكبير وصالح باي، هذا الأخير وعلى الرغم من اعتماده على سياسة اللين والمدارات أثناء جبايته للضرائب في بداية حكمه، إلا أن سياسته تغيرت فيما بعد وأصبح يستعمل أسلوب القمع والشدة ضد القبائل الممتنعة عن دفع الضرائب، فلم يراعي أوضاعهم وظروفهم المعيشية والاقتصادية والاجتماعية بل وحتى السياسية⁽¹⁾.

وأكبر دليل على ذلك ما فعله في إقليم وادي ريغ (تقرت)⁽²⁾، حيث فرض عليهم ضرائب كثيرة ومتنوعة وكميات مرتفعة وصلت إلى غاية 300.000 ريال وعدد من العبيد والخيول⁽³⁾، بل ولم يكتفي بذلك حيث قام بإذلالهم وأسرههم وسبي نسائهم وإبادة أطفالهم، وهذا ما يدل على قوة بأس صالح باي وشدة حكمه وصلابته.

هذا عكس ما وجدناه عند نظيره محمد الكبير باي الغرب الجزائري، حيث اعتمد هذا الأخير على مبدأ الشورى من خلال الحوار بينه وبين رعيته باستخدام الأسلوب اللين، وكان كثير العفو والتسامح مع الرعية، هذا إن دل على شيء إنما يدل على حسن معاملته وعفوه عن الأطفال وكبار السن وصونه لحرمة المرأة وتكريمها، كما انه اخذ بعين الاعتبار مستوى معيشة الأفراد وعدم قدرتهم على الدفع، وهذا ما فعله مع سكان عين

(1) محمد الصالح بن العنتري، المصدر السابق، ص 65-65.

(2) وادي ريغ: ينحدر من هضبة الصحراء نحو شط ملغيغ، تكونت حوله واحات تقرت وتماسين جامعة وغيرها، للمزيد ينظر: أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجغرافي للناشئة الإسلامية، مطبعة العربية، الجزائر، 1948م، ص 42.

(3) ناصر الدين سعيدوني، رقات جزائرية....، المرجع السابق، ص 243.

ماضي حيث خفف عنهم دفع اللزمة في وقتها المحدد، كما انه تكرم على كل امرأة بسوار من فضة⁽¹⁾.

وفي هذا الجانب نجد الاختلاف واضحا وجليا من حيث:

4. تقديم الدنوش (وقت القدوم والمنتجات المقدمة):

أما بالنسبة لتقديم الدنوش لسلطة الداى بدار السلطان، فيمكن الاختلاف فيها من حيث فترة قدوم الباى والمنتجات المقدمة، خاصة أن كل تلك الضرائب التي كان يفرضها البايات على الرعية كانت تتم من أجل تزويد معظمها لخزينة الدولة كضريبة سنوية وفصلية، وذلك من أجل الحفاظ على منصب الباى لأكثر من ثلاث سنوات، لهذا نجد أن باى المقاطعة الشرقية صالح باى آنذاك كان يقوم بجباية الضرائب بقسوة، وكان عادة ما يستلف من بايات تونس لملى الخزينة بالأموال ولسد حاجيات الإيالة.

لقد كان كل من صالح باى ومحمد الكبير يقدمان دنوش مقاطعتهما كل ثلاث سنوات، لكن كان باى الشرق يأخذها في فصل الصيف عكس باى الغرب الذي كان يأخذها في فصل الخريف، أما بالنسبة للهدايا والمنتجات المقدمة التي كان يهديها صالح باى للبasha فقدرت بـ 30 ألف محبوب ذهبا⁽²⁾.

(1) أحمد ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 69.

(2) محبوب ذهبا: قيمة 3 غرامات من الذهب أو ما يعادلها ذهبا، للمزيد ينظر: أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 47 الهامش 59.

إضافة لبعض المنتجات من الألبسة والمواشي والطيب والعطور والمرجان والعنبر والبرانس التي تتسج من الصوف والحريز، وأشياء أخرى كالأثاث والسمن والمحور⁽¹⁾⁽²⁾.

أما باي الغرب محمد بن عثمان فمجل ما كان يدفعه من نقود وعوائد قدرت بـ 100 ألف سلطاني⁽³⁾، إضافة إلى العبيد، ريش النعام وبيضه، الزرابي القليعية⁽⁴⁾، وقد فصل الزهار في الحديث عن هذه الهدايا التي يقدمها الباي بعد دخوله على الباشا في قوله: "...الدراهم نحو 20000 دورو ومن المصوغ مقدار نصف ذلك وأربعة من الخيل العتاق ونحو ثلاثين عبدا كبيرا وعشرون عبدا صغيرا وحياك القرمز صنعة تلمسان وحياك الحريز صنعة فاس والبلاغين والرواحي بالذهب ونحو عشرون قنطارا من الشمع ومثل ذلك من العسل ومن المصوغ مقدار نصف ذلك و مثله أيضا من السمن والجوز." ⁽⁵⁾.

إضافة إلى الدنوش كان صالح بن مصطفى أزميرلي ومحمد بن عثمان يدفعان زكاة العشور من الحبوب والحيوانات، فكان باي الغرب يدفع نحو عشرة آلاف صاع من القمح ومثلها من الشعير وستة آلاف رأس من الغنم مرتين في السنة في شهري أبريل وسبتمبر، وبعض العوائد في عيدي الفطر والأضحى ويوم عاشوراء والمولد النبوي الشريف⁽⁶⁾.

(1) المحور: كلس ناصع البياض مجفف، يختص بصنعه أهل قسنطينة، للمزيد ينظر: أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 47 الهامش 59.

(2) نفسه، ص 46.

(3) ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 144.

(4) يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 40.

(5) أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 47.

(6) نفسه، ص 47.

ولكن يختلف عن باي الشرق في كونه يعطي القمح لا الشعير ويزيد عليه نحو ألفي رأس من البقر والتمر والزيتون كل سنة في شهر جانفي، ويبعث في صيف كل سنة مركبا مشحونا بالشحم والسمن للمراكب الجهادية من مرسى عنابة⁽¹⁾.

ويمكن القول مما سبق أن سياسة البايات الضريبية مع السكان كانت تختلف من باي لآخر، فبعض البايات أمثال محمد الكبير لم يكن متشددا عكس صالح باي الذي استعمل التهيب في تحصيل الضرائب، كما أن عملية تقديم الدنوش كانت هي الأخرى تختلف فيما بينهم وذلك على حسب طبيعة وعوائد كل بايلك، وكذا حرص كل واحد منهما لكسب الود والولاء من سلطة الدايات لبقاء كل واحد منهما في منصبه كباي.

ومن خلال عرضنا لأهم نقاط الاختلاف في سياسة كل من صالح باي ومحمد الكبير في الجانب الاقتصادي، نلاحظ أيضا تباين المواقف في تسيير الشؤون الاجتماعية، وهو ما دفع بنا لإجراء دراسة تمحيصية هادفة لتبيين سياسة كل باي، وعلى هذا الأساس نطرح التساؤل التالي: "ما ابرز نقاط الاختلاف والتباين في سياسة كل منهما في الجانب الاجتماعي؟"

5. الإهتمام بالصحة والمجتمع:

من خلال ما عرضناه سابقا نستنتج أن الباي محمد الكبير كان من البايات الذين أولوا اهتماما بالغا بالصحة والمجتمع آنذاك عكس صالح باي، الذي يكاد ينعدم فيه الاهتمام بهذا الجانب، حيث ساهم محمد الكبير في الاعتناء بالفقراء والمساكين وقضى على المجاعة التي ضربت المنطقة بتوفير الحبوب وتوزيعها على المحتاجين عند الحاجة، بل كان يوزع

(1) طاهري عبد الحليم، تأثير الجانب الاجتماعي في تكوين شخصية صالح باي السياسية والاقتصادية، علم الآثار، جامعة عباس غرور، خنشلة، ص 25.

بنفسه الألبسة على الرعاية ووفر مناصب الشغل لهم من خلال البناء العمراني الذي تركز في معسكر ووهران⁽¹⁾. اما في مجال الصحة فيبدو هذا الباي انه كان على دراية واسعة في الطب، فكان يداوي بنفسه المرضى ويعالجهم ويتألم لوجعهم، ويقدم للفقراء ما يحضره بنفسه من العلاج⁽²⁾.

اما بالنسبة لصالح باي فالملاحظ عليه انه لم يهتم بالوضع الصحي لعامة الناس مثل ما وجدناه عند نظيره محمد الكبير، فلم يكن يولي العناية بشؤون الرعاية، وإنما اكتفى بالسهر على صحته وصحة موظفيه والرجال الذين خدموه ، وجل ما قام به هو فرض حجر صحي على منطقة عنابة لمنع انتقال العدوى لمنطقة قسنطينة⁽³⁾.

6. تشجيع حركة النسخ والتأليف:

ومن جهة أخرى لم يخلو عهد صالح باي والباي محمد الكبير من إصلاحات ثقافية ذات قيمة مرموقة، فكل من الشخصيتين كان له دور فعال في إحياء الحياة الثقافية، والسؤال المطروح هنا أين يكمن الاختلاف بين سياستهما في تنشيط الحياة الثقافية وبخاصة حركة النسخ والتأليف ؟

لقد كانت حركة النسخ والتأليف نشيطة وحية في العهد العثماني، ولقد لقيت التفاتة واهتمام بالغين من قبل الحكام العثمانيين، والذي كان على رأسهم الباي محمد الكبير، هذا

(1) بلبورات بن عتو، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري (1778-1779م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإسلامية، 2001-2002، ص 209، 211.

(2) أحمد ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 25-26.

(3) شاعر كمال، بايلك قسنطينة من خلال وثائق المجموعة 1641 المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية (1757-1792م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2004-2005، ص 65.

الأخير سعى الذي جاهدنا خلال فترة توليه منصب الباى على مستوى مقاطعته فى النهوض بالحركة العلمية والفكرية، خاصة من خلال تشجيع النسخ والكتابة والتأليف.

وهذا ما يبرز من خلال الإجراءات التى اتخذها والتى ذكرناها سالفًا ضمن إنجازاته الثقافية المتمثلة فى نسخ الكتب واختصار الطويلة منها وإجازة العلماء والطلبة وكذا تسجيل أحداث معينة يراها مفيدة للأجيال القادمة⁽¹⁾، وفى ذلك أمثلة كثيرة ومتنوعة ذكرناها سالفًا منها أن الباى محمد الكبير أمر كاتبه ابن هطال التلمساني بتسجيل رحلته الى الجنوب الصحراوي الجزائري سنة 1785م⁽²⁾، كما لا يمكننا أن نغفل العديد من التأليف الأخرى التى أمر بها هذا الباى منها كتاب عقود المحاسن وشرح العقيدة وكذا كتاب الثغر الجماني لابن سحنون الراشدي⁽³⁾.

كل هذا الاهتمام لم نلمسه فى بايلك الشرق، وذلك بسبب عدم اهتمام صالح باى بهذا الجانب، فجل ما قام به هو شراء الكتب المخطوطة من أصحابها وإعادة نشرها بوضع ختم الباى عليها.

بالإضافة الى ما وجدناه من اختلاف وتباين فى المجالات السابقة، يمكن إن نتساءل هل يمكن أن نلاحظ تباين وتضارب من الناحية الدينية ؟

7. عداة صالح باى لشيوخ الزوايا والمرابطين عكس محمد الكبير:

لقد اتسمت العلاقة بين صالح باى وهؤلاء المرابطين وشيوخ الزوايا بالعداء الشديد والتضارب فى المصالح، وذلك راجع للعديد من الأسباب نوجزها فى الآتي:

(1) ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 147.

(2) احمد ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 35.

(3) بلبورات بن عتو، المشروع الحضاري، المرجع السابق، ص 231.

1- استحدث صالح باي عدة أمور أولها توحيد نظام الضرائب، وهو ما أزعج من كانوا يستفيدون من الإعفاءات على عهد البايات السابقين، وقد تسبب ذلك بنقص الموارد التي كانوا يحصلون عليها من عوائد زيارة أهالي الريف وتعرض أملاكهم للمصادرة⁽¹⁾.

2- التنافس في روح التدريس، لان صالح باي اعتمد على علماء بعيدين عن التصوف والطرقية⁽²⁾.

3- لقد أحس شيوخ الزوايا بنوع من المنافسة لزواياهم، خاصة بسبب الإصلاحات التي ادخلها صالح باي في الإدارة بصفة عامة والتعليم بصفة خاصة⁽³⁾.

لهذا ساءت العلاقة بينه وبين هؤلاء المرابطين، ويعتبر الشيخ محمد الغراب⁽⁴⁾، أكثر الساخطين على حكمه وكان أول من تجرأ على مجابهته معتمدا في ذلك على شعبيته الواسعة وقداسته أمام الناس، الا أن صالح باي لم يسمح له بالتمادي عليه فحكم عليه بالإعدام⁽⁵⁾.

كما لاحق صالح باي مرابط آخر يدعى الشيخ محمد الزواوي⁽⁶⁾، هذا الأخير كان صديقا مقربا له وناصحا لشؤونه، لكن هذه العلاقة لم تدم وتحولت الى عدا، بعد أن عجز الشيخ في إقناعه في ضرورة التخفيف من قسوته، فهرب الشيخ محمد الزواوي واستقر

(1) ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية....، المرجع السابق، ص 254.

(2) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 216.

(3) فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، المرجع السابق، ص 130.

(4) سيدي محمد الغراب: من الأولياء الصالحين المشهورين في المنطقة استغل قداسته ومكانته الاجتماعية وتجراً على مهاجمة الباي وشق عصا الطاعة عليه، فنفذ فيه حكم الإعدام. للمزيد ينظر: طاهري عبد الحليم، المرجع السابق، ص 20.

(5) طاهري عبد الحليم، المرجع نفسه، ص 20-21.

(6) الشيخ محمد الزواوي: احمد المرابطين الأعيان المشهورين في قسنطينة، كان يسكن في شطابة حيث توجد زاويته، للمزيد ينظر: فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، المرجع السابق، ص 130.

في جبل وزغار، وقام بتوجيه الخطب المعادية والتحريض ضد صالح باي، وتذكر الرواية الشعبية أن الشيخ الزواوي قد دعى على صالح باي وابنه وحاشيته، وكان ذلك قبل انتهاء حكمه بسنة⁽¹⁾.

أما عن علاقة باي الغرب محمد بن عثمان فقد كانت تربطه علاقة ود وصداقة مع المرابطين وشيوخ الزوايا عكس صالح باي، فقربهم اليه وأولى لهم عناية خاصة، وهذا إن دل على شيء انما يدل على ذكاء وفطنة محمد الكبير، فقد كانت له أهداف سياسية من وراء دعمه المطلق لهذه الفئة، وكان يسعى لاستقطابهم وجذبهم اليه لأجل تخليد مآثره.

ولقد استغل الباي ذلك التقارب فعمل على بعث الروابط الطلابية⁽²⁾، وحشد الطلبة والفقهاء والمرابطين ورجال الدين في الجهاد ضد الاحتلال الاسباني المتواجد في وهران والمرسى الكبير، باعتبار أن هذه الشراكة هي التي كانت تبدي استعدادات أكثر في الجهاد والتضحية، كما لها قدرة بالغة التأثير في الناس وإقناعهم لحمل السلاح ورفع راية الإسلام، وقد وصل عددهم آنذاك الى 2500 مرابط في رباط ايفري، وجبل المائدة والبريدية وسيدي معروف، وجعل على رباط ايفري العالم الجليل محمد بن عبد الله الجباللي⁽³⁾.

وفي المقابل نجد أن الباي محمد بن عثمان لم يتوانى عن تمويل ومساعدة المرابطين بالمتونة والغذاء، ولاستقطاب اكبر عدد منهم استدعى من مازونة الشيخ محمد بن علي

(1) ناصر الدين سعيدوني، رقات جزائرية...، المرجع السابق، ص 255.

(2) الروابط الطلابية: هي جمع رباط وتعني ملازمة الثغور لحراسة من فيها من المسلمين، والمرابط في سبيل الله هو الشخص الذي يشخص ثغرا من الثغور ليرابط فيه مدة من الزمن. ينظر: إكرام شقرون، "مصطلح الرباط المفهوم والدلالة"، دورية كان التاريخية، ع18، ديسمبر 2012، ص 69.

(3) المهدي البوعبدلي، الرباط والفداء في وهران والقبائل الأخرى، مجلة الأصالة، ع13، الجزائر، 1973، ص 23.

الشارف المازوني ليلتحق بالرباط، وتمكن هذا الأخير من جمع حوالي 400 عالم وطالب للجهاد⁽¹⁾.

ومما عرف عن الباي محمد الكبير أيضا اهتمامه ببناء مشاهد الأولياء، كمشهد الولي محمد بن عودة والولي أحمد بن يوسف الملياني، كما أعيد تجديد ضريح عبد الرحمان الثعالبي⁽²⁾، خلال العهد العثماني أربع مرات.

كل هذا الدعم والاهتمام انجر عنه تزايد كبير للمرابطين، مما جعلهم يعدونه بالدعم والمؤازرة، ولقد ساهمت تكبيرات وتهليلات شيوخ الزوايا والمرابطين في تحفيز جيش محمد الكبير على الجهاد وكللت تلك الجهود بالنصر على الإسبان، وفتحت مدينة وهران والمرسى الكبير على يديه عام 1792م.

يضاف إليها العديد من الاختلافات بين الشخصين نتكلم عليها باختصار في النقاط الآتية ذكرها:

- نجد الاختلاف واضحا في تنظيم الجهاز الإداري في كل واحد منهما ونلمس ذلك التباين في بعض الوظائف والمهام كوظيفة الخليفة التي كان يقودها شخصين هما الخليفة الأول وخليفة الكرسي في بابلك الغرب بينما موظف واحد في الشرق.

- كذلك امتد التباين بينهما إلى الجانب الاقتصادي والصناعي على وجه الخصوص ذلك من خلال تشجيع الباي محمد الكبير مشروع صناعة الصابون والمدافع، حيث كانت عملية التسليح وصناعة المدافع من انشغالاته، وما ميز باي الغرب أن

(1) زيوش إسماعيل، جوانب من الحياة السياسية والدينية للباي محمد الكبير ببابلك الغرب الجزائري (1779-1797م)، مجلة 12، ع1، تلمسان، جانفي 2019، ص 384.

(2) سميرة طالي معمر، القوى المحلية في بابلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني (1206-1246هـ/1792-1831م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2009-2010، ص 117.

طموحاته في مجال التنمية الصناعية، فاقت جهود باي الشرق صالح باي، حيث استطاع بفضل مجهوداته ربط مدينة وهران بعاصمة البايك بعد 1792 بمبادلات تجارية مع البلدان المغاربية.

-فاق اهتمام صالح باي إهتمام الغرب محمد الكبير في عنايته بنظام الري وسقي المزروعات، حيث استحدث شبكة من قنوات الري لإيصال المياه الى المزروعات وأمر باستصلاح مستنقعات نهر سبوس بنواحي عنابة لاستغلالها في الزراعة، كما عمل أيضا على تفجير الحياة في الصحراء وربط الينابيع ببعضها البعض في شبكة من القنوات لسقي البساتين والحقول من النخيل وغيرها من المزروعات.

خاتمة

الخاتمة

الخاتمة:

أسفرت دراستنا لموضوع المقارنة بين أعمال وإنجازات كل من باي الشرق صالح باي وباي الغرب محمد الكبير جملة من النتائج نلخصها كالآتي:

- شهدت إيالة الجزائر أواخر العهد العثماني خاصة في فترة القرن 12هـ/18م، في كل من مقاطعتي الشرق بقسنطينة والغرب بمعسكر ووهران في عهد صالح باي ومحمد الكبير، نهضة إصلاحية مست كافة المجالات وهذا ما أدى الى إنبعاث في الحركة العلمية والثقافية والحضارية، فالسياسية التشجيعية التي انتهجها تعتبر نموذجا واضحا على ذلك.
- مثلت فترة حكم صالح باي العهد الذهبي لبايات قسنطينة المتأخرين، وبعد انقضاء عهده باشر الحكم العثماني في المنطقة بالتراجع.
- عرف صالح باي في بداية حكمه بأخلاقه الحسنة وسيرته الحميدة، حيث استطاع أن يكسب احترام العامة وتقدير أعيان البلاد، رغم المعارضة الشديدة التي واجهها من شيوخ الزوايا والمرابطين وشيوخ الطرق الصوفية.
- يعود الفضل لصالح باي في تنظيم سيرورة التعليم على مستوى المؤسسات الثقافية، وذلك بإصدار مجموعة من القوانين الداخلية لضبط العملية التعليمية، واتسمت هذه القوانين بنوع من الشدة والانضباط التام.
- إشتهر بتنظيمه لمؤسسة الاوقاف الذي انعكس نشاطها على الحياة الاجتماعية في ترسيخ القواعد الدينية السائدة والتي من خلالها ساهمت في ازدهار قسنطينة.
- يعتبر الباي محمد الكبير من أشهر البايات العظام الذين حكموا منطقة الغرب الجزائري في فترة (1778 - 1792م).

الخاتمة

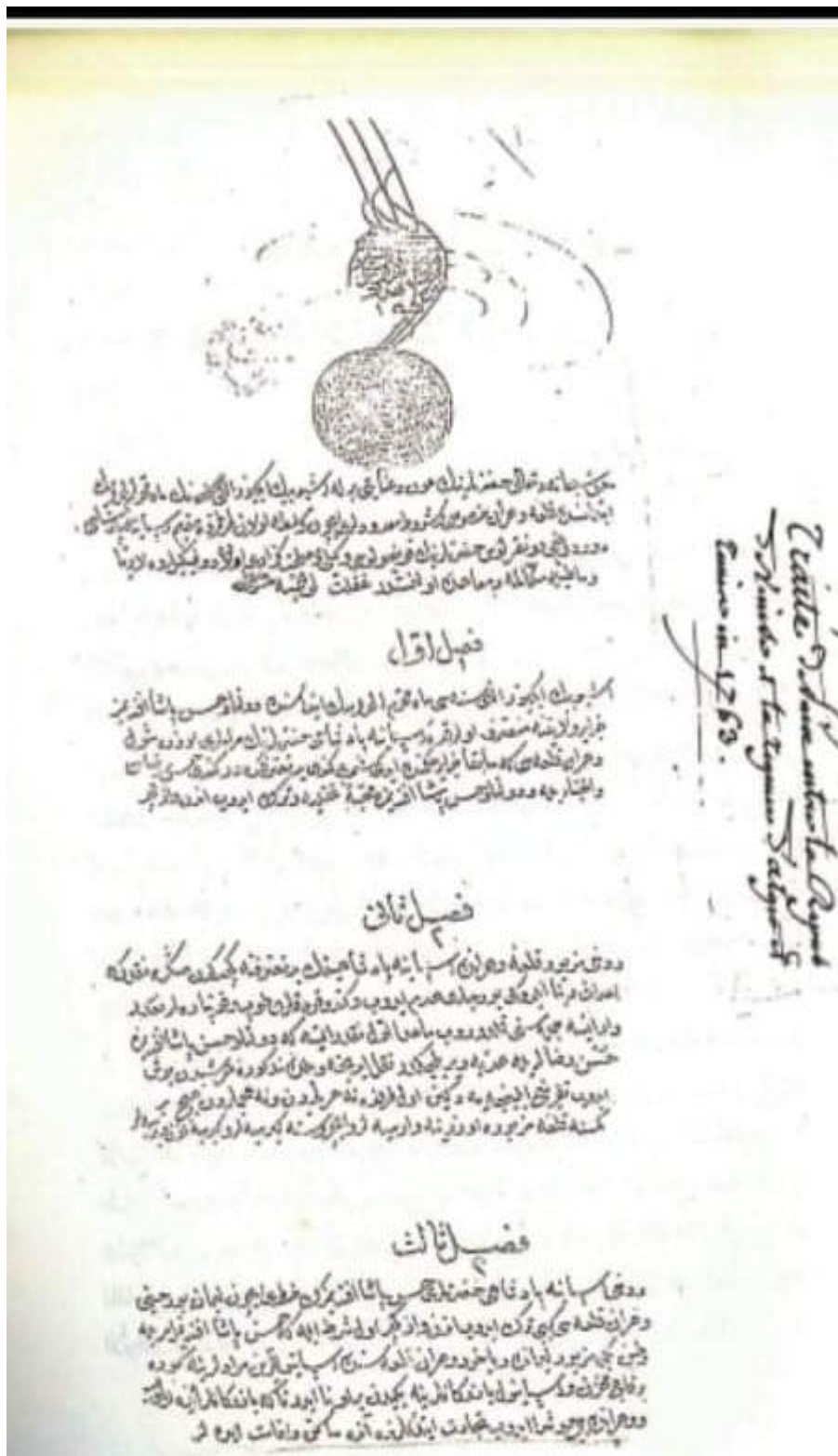
- تميز محمد الكبير بالقوة والشجاعة والحنكة العسكرية، حيث تمكن من تحرير وهران من الاحتلال الإسباني وذلك بفضل جهوده الجبارة التي بذلها في سبيل إنشاء الرباطات، وكذا مؤازرة العلماء وشيوخ الزوايا والطرق الصوفية له.
- وبالموازاة حرص هذا الباي على النهوض بالحياة الثقافية في بايلك الغرب، بعدما سادها الخمول والجمود، وذلك باهتمامه بالعلم وتقريبه للعلماء من مجالسه، وكذا تشجيعه لحركة نسخ وتأليف الكتب النادرة، بالإضافة إلى خدماته الاجتماعية المتنوعة كاعتنائه بالفقراء والمساكين بمد يد العون لهم، ولقد أظهر ذلك قيمه ومبادئه الإنسانية المستمدة من الشريعة الإسلامية.
- إستطاعت البلاد في ظل حكم كل من صالح باي ومحمد الكبير أن تواجه التحديات الداخلية والخارجية، وذلك أن هاذين الشخصين كانا على قدر كبير من الحنكة السياسية حيث تمكنا من بسط الأمن وتوسيع السلطة المحلية إلى غاية الصحراء.
- نستنتج كذلك أن سياسة البايات الضريبية مع السكان إختلفت من باي لآخر، نجد أن الباي محمد الكبير لم يكن متشدد واستعمل سياسة اللين عكس صالح باي الذي استعمل القوة والعنف في تحصيل الضرائب.
- عرف كل من بايلك الشرق بايلك الغرب بزعامة صالح باي وبايلك الغرب بقيادة محمد الكبير نموا اقتصاديا معتبرا، وذلك راجع لإهتمامهم الكبير بالصناعة والزراعة خصوصا، وتشجيعهم للتجارة الداخلية والخارجية.
- كليهما عمل على البناء والتشييد، كبناء المساجد وتحبيس الأوقاف عليها، كما اهتموا بالتعليم وشؤونه بناء المدارس التي نالت شهرة داخل الجزائر وخارجها كالمدرسة المحمدية بمعسكر والمدرسة الكتانية بقسنطينة، فكليهما حاولا أن يمثلتا عصر التنويري في الجزائر العثمانية.

الخاتمة

- نستنتج أيضا بعد وفاة الداى محمد بن عثمان باشا لم يتلق كل من صالح باي ومحمد الكبير الدعم من قبل الداى الجديد حسن باشا، هذا الأخير الذي تولى الحكم في ظروف صعبة كانت البلاد تعاني فيها من تفكك داخلي وتكتل خارجي أجنبي، ضعف عسكري وعجز مالي، خاصة بعد احتكار اليهود للتجارة الداخلية والخارجية للبلاد، وأصبحت لهم العديد من الشركات المتحكمة في الأسواق وفي الأسعار خاصة في الشرق الجزائري.
- نستنتج أيضا أن جل تلك المشاريع قد اختفت بوفاة تلك الشخصيات الحاكمة، ذلك لأنها تعتمد على جهود فردية نابعة من ثقافتها الخاصة وليست على سياسة مرسومة ومتواصلة.
-

الملاحق

الملحق رقم (01): المعاهدة الجزائرية الاسبانية



الترجمة العربية للنص العثماني

يعون وعناية من الله سبحانه وتعالى، تم التفاوض وعقدت معاهدة في أوائل شهر محرم الحرام سنة ألف ومائتين وستة (سبتمبر 1791) مع الدون مكابيل دولاريا القائم بالأعمال وممثل قنصلية سعادة الدون كارلوس الرابع ملك إسبانيا، ونظرا لإقامته بينا ووساطته في القضايا المتعلقة بقلعة وهران والشروط المحددة بشأنها، فإنه يتعين الأخذ بما يلي:

- البند الأول:

في بداية شهر محرم الحرام من عام ألف ومائتين وستة، تحت حكم دولة أفندينا حسن باشا أمير ولاية الجزائر، ومطبقا لرغبات سعادة ملك إسبانيا، فإن قلعة وهران التي كانت في السابق تحت حكم الجزائر والتي هي الآن في حوزة إسبانيا، يتم الانسحاب منها وتركها عن رغبة واختيار من ملك إسبانيا وذلك بدافع الصداقة لدولة أفندينا حسن باشا.

- البند الثاني:

إن الإسبانين سيقومون بهدم كل الأبراج التي أقاموها أو بنوها بقلعة وهران السالفة الذكر منذ الاستيلاء عليها من طرف ملك إسبانيا (1732) وسوف يأخذون منها كل المدافع ومدافع الهاون «المهاريس» التي كانوا قد نصبوها بها، باستثناء ما سوف يقدمونه منها برغبة من ملك إسبانيا كهدية للدولة حسن باشا، هذا ومنذ قيامهم بنقل ذلك وحتى يتمكنوا من الانتهاء من إخلاء المدينة من كل تلك الأشياء، فإنه لا يسمح لأي عربي أو أجنبي الاقتراب أو الدخول لقلعة وهران السالفة الذكر، كما لا يعطي لهم إذن بذلك.

- البند الثالث:

نزولا عند رغبة أفندينا حسن باشا فإن ملك إسبانيا سوف يترك المرسى الكبير كما فعل بالنسبة لقلعة وهران ويتخلل عنها بشرط أن يشيد في المرسى الكبير وقلعة وهران بأمر من أفندينا حسن باشا أمير وطن الجزائر وحسب رغبة الإسبانين يحض

90

الخازن والمساكن لإقامة التجار الإسبان، وذلك حتى يتمكنوا من القيام بعمليات البيع والشراء وحتى يستطيعوا السكن والإقامة بها.

- البند الرابع:

إن داي الجزائر المغرورة بمنح مقابل استرجاع وهران والمرسى الكبير باختيار ورضا سعادة ملك إسبانيا لطائفة الإسبان بيع وشراء القمح والشعير والبقول والحمص والواشي والأبقار ومنتجات أخرى كالشمع والجلد والصوف، وأن داي الجزائر لا يسمح لأي شخص من الطوائف الأخرى (من غير الإسبان) بالتجارة ولا لأي سفينة أن تقوم بالشحن والتفريغ في الأماكن المذكورة سلفا.

- البند الخامس:

على باي الوطن «باي الغرب» أن يوفر للدار الكريمة 10.000 قيمة قح و 100 قنطار عسل كما أشير إلى ذلك سلفا كما له الحق في بيعها بموافقة الباشا لمن يراه مناسبا وعندما يحل فصل التجارة من كل سنة فإن الباي يعلم الإسبانين بذلك، فإن أرادوا الشراء ورغبوا فيه فستكون لهم الأفضلية إن عرضوا سعرا يساوي ما قدمه غيرهم، فإذا قدم غيرهم سعرا أكثر كانت التجارة من نصيب هؤلاء الآخرين من غير الإسبان.

- البند السادس:

اتفق الطرفان (الجزائري والإسباني) على تعويض حوائد الجهارك والرسوم المستحقة بفرض قيمة معينة على التجار الإسبانين، بحيث يدفعون مبلغا معينا كل سنة للدار الكريمة يقدر بـ 1.000 قطعة ذهب جزائري عندما يقومون بالشراء في قلعة وهران والمرسى الكبير، مع عدم إلزامهم عند المغادرة بدفع أي ضريبة أو رسم مستحدث على الأموال والأرزاق والمتاع، إضافة إلى أن أفندينا الباشا سيعب لهم 10.000 قيمة قح سنويا. وأن السفن التي تأتي لتقل هذه الحمولة المشار إليها، تعفى من دفع المبلغ المالي المترجب على غيرها من السفن والمقدر بخمسين ريال صغيرا أو ما يقدر بست قطع ذهبية جزائرية وريال واحد، هذا وعندها يتم بيع هذه الحمولة

المقدرة بـ 10 آلاف قيسة في السوق بدون تدخل من باي الوطن فإن التجار الإسبان سوف يشترونها بنفس الطريقة.

- البند السابع :

إبتداء من هذا اليوم فإن سفن الإسبان سواء الحرية منها أو التجارية يحق لها أن تدخل إلى موانئنا أو تغادرها بلا ترخيص وبدون إذن عندما تضطر إلى ذلك، هذا وأن الشروط المتعلقة بحالة دخول هذه السفن بلا إذن الواردة في الفصل الثاني والعشرين من المعاهدة القديمة (1786) تعتبر ملغاة ولا يمكن العمل بها.

- البند الثامن :

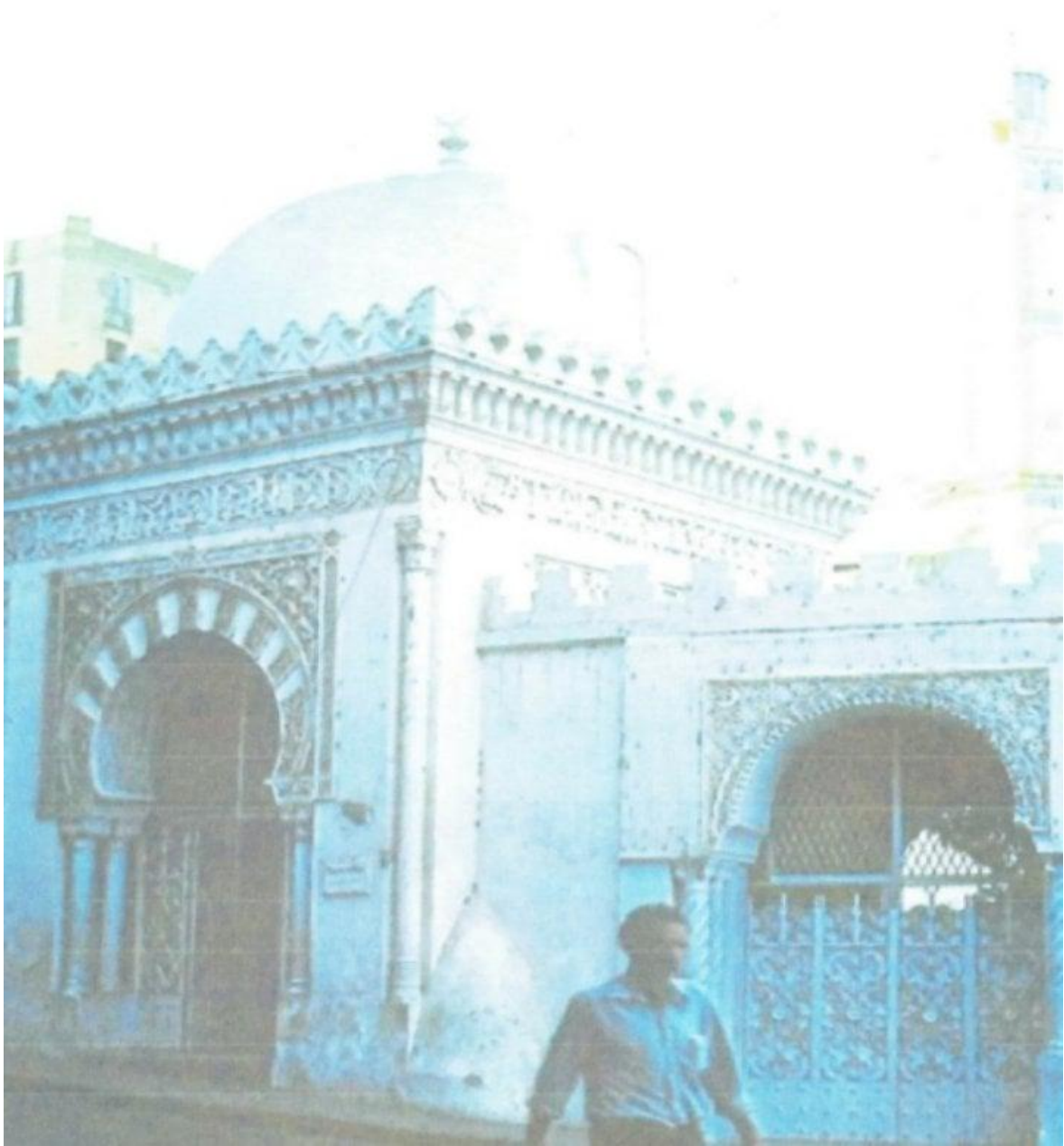
أثناء هذه المدة القصيرة يجب السعي لنقل الأموال والأمتعة وإخلاء وهران والمرسى الكبير في الفترة الفاصلة بين تاريخ الاتفاق ويوم الانسحاب، بحيث لا يتعرض الإسبان للمزاحمة أو يمنحوا من القيام بمهمتهم مع التأكيد على عدم السماح بأي تجاوز في هذا الشأن.

- البند التاسع :

ينبغي عدم التعرض للتجار الإسبان المقيمين هنا (أي وهران والمرسى الكبير) بأي أذى بغير وجه شرعي، كما لا يجب المساس بتجارهم وينطبق ذلك حتى على الجهات والموانئ الأخرى من الجزائر بحيث يكونون في مأمن من الجور والاعتداء بلا سبب أو مبرر من أي طرف كان.

¹ ناصر الدين سعيدوني، "المعاهدة الجزائرية الاسبانية"، مجلة الدراسات التاريخية، ع7، الجزائر، ص ص 90، 92.

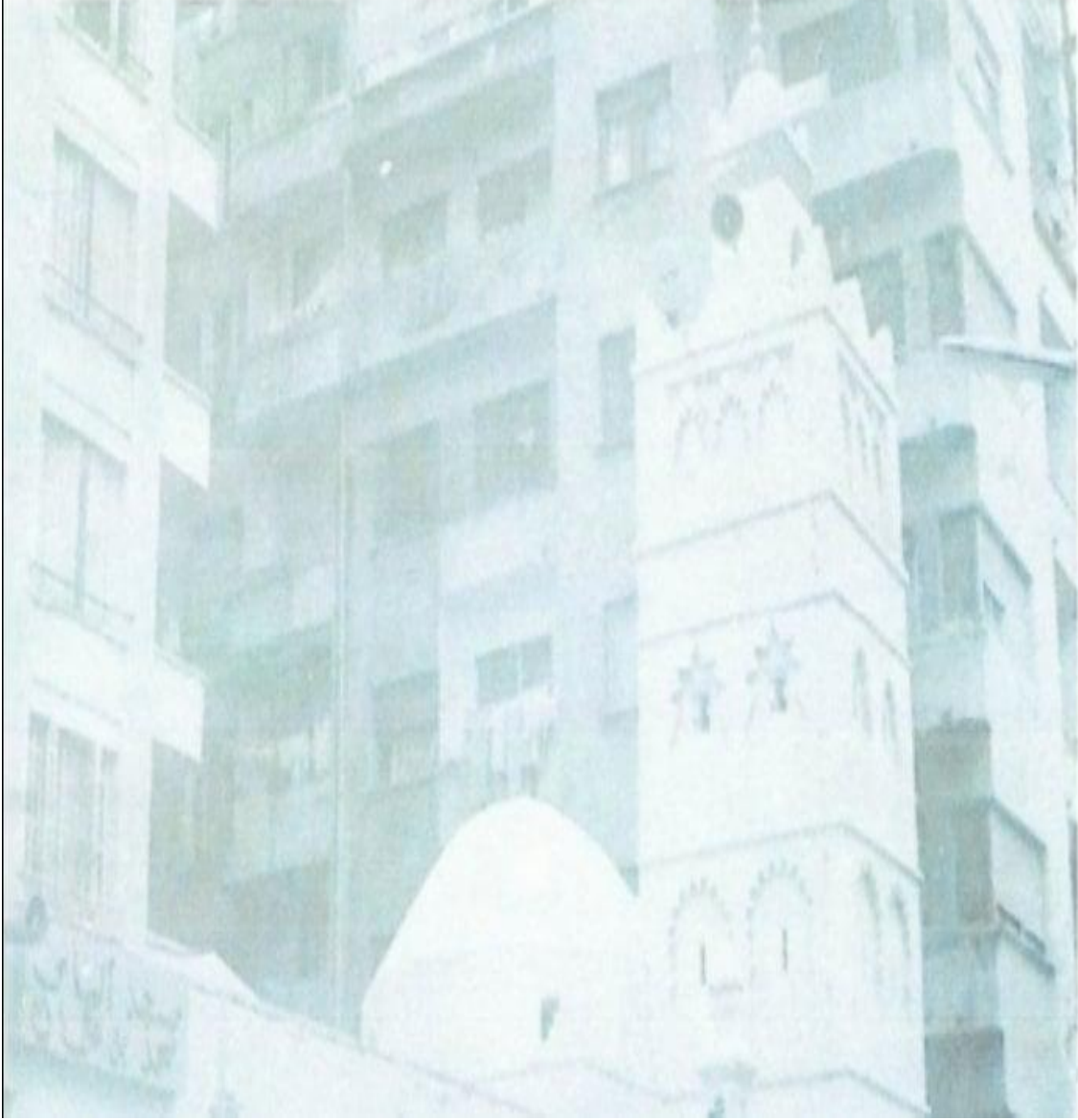
الملحق رقم(02): مدخل جامع الباشا



1

¹ رشيد بورويبة، مرجع سابق، ص 105

الملحق رقم (03): مسجد الباى محمد الكبير المئذنة والقبة

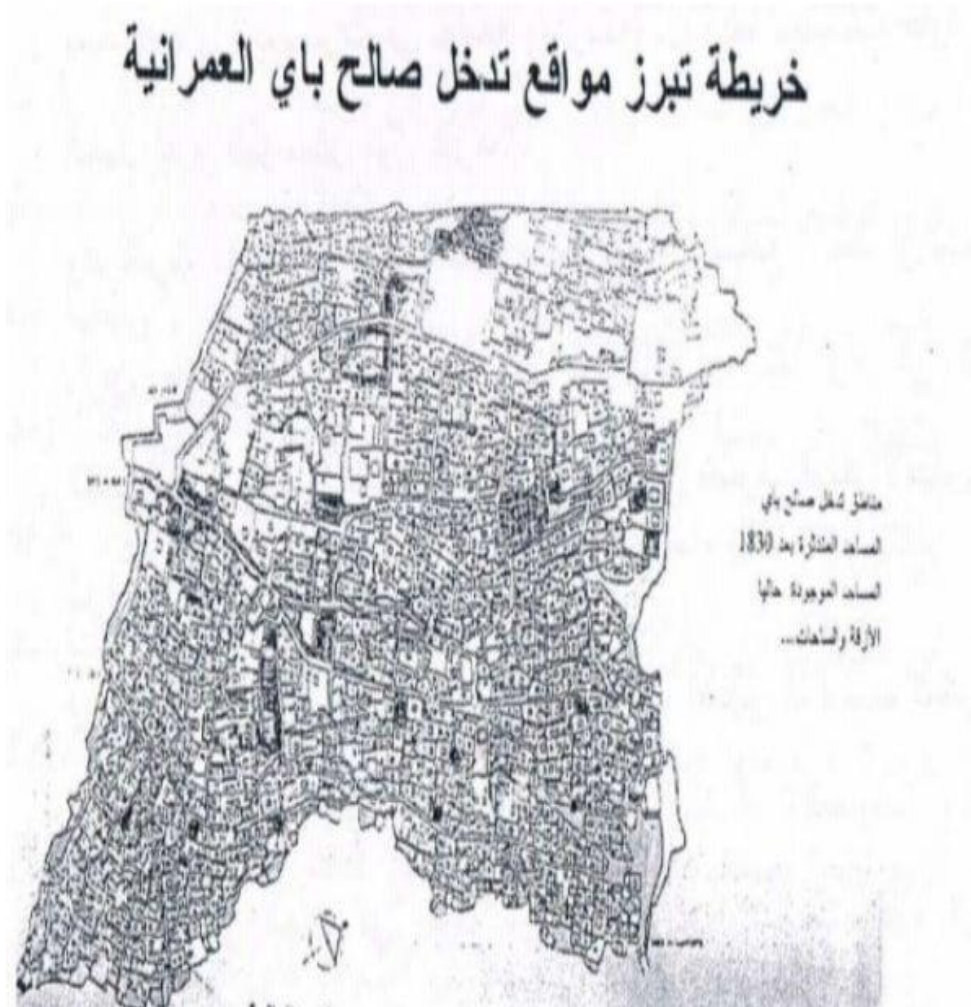


1

¹ رشيد بورويبة، مرجع سابق، ص 114.

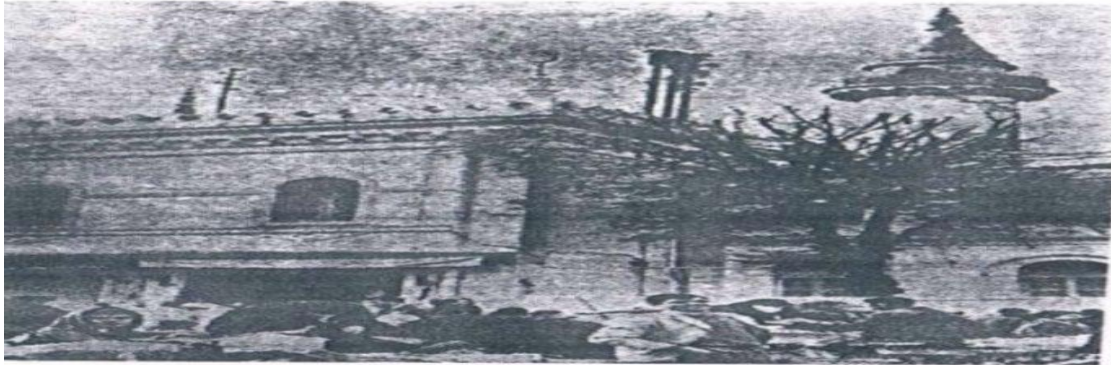
الملحق رقم (04): خارطة تبرز مواقع تدخل صالح باي العمرانية

1



¹ فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، مرجع سابق، ص 79.

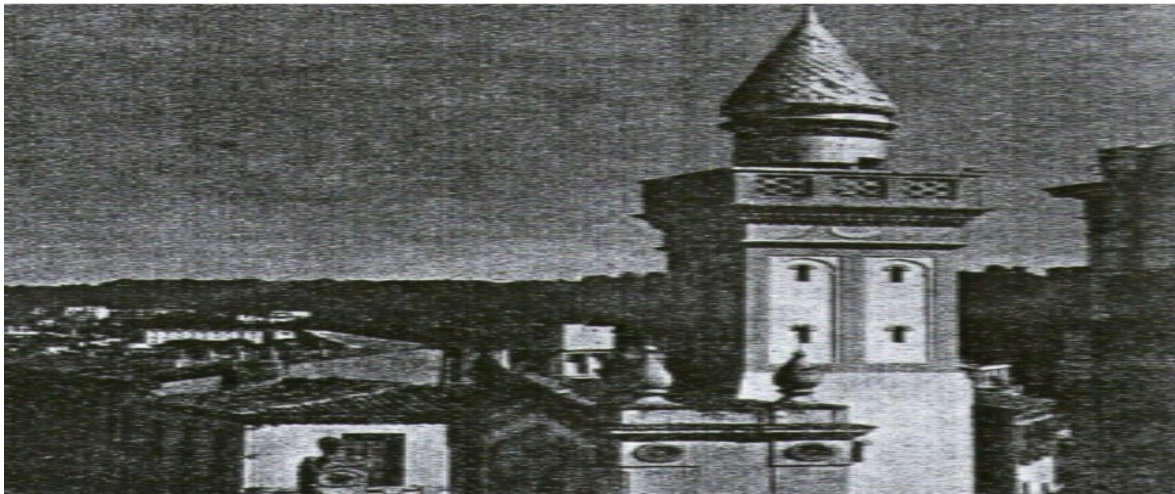
الملحق رقم (05): جامع سيدي الكتاني



جامع سيدي الكتاني

1

الملحق رقم(06): الجامع الكبير [الأعظم]



2

¹ محمد المهدي بن علي شعيب، مصدر سابق، ص 238.
² نفسه، ص 234.

سجل صالح باي للأوقاف

1187 هـ إلى 1206 هـ

العقد التأسيسي لسجلات صالح باي لأوقاف قسنطينة

"الحمد لله ولما وقع التقصير من وكلاء مساجد قسنطينة ولم يكن لهم اعتناء بشأن الأوقاف وفروا في ذلك غاية التفريط وضاع الكثير منها بقبيلتهم عنها وعدم اعتنائهم بشأنها ولم يبحثوا على ذلك وتعطل البعض من المساجد بضيق أوقافها التي مبنى عمارة الوقف عليها وصار البعض منها بسبب ذلك مربطاً للدواب والبعض غلقت عليه الأبواب وآل أمره إلى الخراب وبلغ أمر ذلك لحضرة المعظم الأسعد المنصور المنير ذي الآراء السنية وحسن الرأي سيدنا صالح باي أيده الله تعالى وأبقى وجوده وأدام خيراته ووجوده فألهمه الله إلى إحياء ما ندرس من المساجد والأوقاف وترجيه بكلية أعزه الله تعالى إلى الكشف عن ذلك وأراد أن يثبت ذلك بثلاث 3 [تصحیح في الهامش: بل أربع] سجلات متماثلة تحفظها ويؤمن بذلك من التبديل والتغيير عليها أمر حينئذ قضائه والمفتيين أن يبحثوا على أوقاف المساجد وعلى المساجد التي نثرت ويثبتوا ذلك بثلاث سجلات 3 (بل أربع سجلات) متماثلة فامتثلوا أمره وبلغوا جهدهم في البحث عن أوقاف المساجد وعن المساجد التي نثرت وأطلعوا على سجلات المساجد وأثبتوا بعد الكشف عن ذلك أوقاف مساجد بلد قسنطينة بهذا السجل وسجلين 2 (بل ثلاثة) آخرين مماثلين له لفظاً ومعنى أحد السجلات عند صاحب بيت المال والثاني عند شيخ البلد والثالث عند قاضي الحنفية والرابع عند قاضي المالكية فمن علم ذلك وتحققه وعلم أن الطابع المرسم بطرته أعلاه هو طابع المعظم الأرفع سيدنا صالح باي أدام الله أوقاته وبارك فيه قيد به وبمضمونه شهادته هنا وذلك أواسط شهر ربيع الأول المنور بمولده صلى الله عليه وسلم عام تسعين ومائة وألف.

ومن تمامه ان سيدنا صالح باي أيده الله على ان المعوضة لا تقع في اوقاف المساجد اصلا لا بالقليل ولا بالكثير وان وكلاء المساجد يحاسبون على اوقاف المساجد من السنة اشهر إلى السنة اشهر وان الفاضل من اوقاف المساجد اي من غلثها يتفقد العلماء المنعقد بهم المجلس العلمي وصاحب بيت المال في كل سنة ومن كثرت غلة اوقافه من المساجد يشتروله (كذا) بما فضل عن حاجة الاوقاف عقارا بصير من جملة الاوقاف. صح ذلك توقيعات:

محمد بن الموهوب

احمد بن جلول

¹ فاطمة الزهراء قشي، سجل صالح باي للأوقاف، المرجع السابق، ص 19.

قائمة المصادر والمراجع

أ- القرآن الكريم:

ب- المصادر:

- 1- التلمساني ابن رقية ، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغار عليها الجنود الكفرة، نشره سليم بابا عمر، مجلة تاريخ وحضارة المغرب ، الجزائر، 1976م.
- 2- التلمساني أحمد ابن هطال، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785، تحر وتق، محمد بن عبد الكريم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- 3- الجزائري المشرفي عبد القادر، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين من الأعراب كبني عامر، تح وتق، محمد بن عبد الكريم، مكتبة الحياة، لبنان، 1990.
- 4- الجزائري محمد أبو راس ، فتح الإله ومنتها في التحدث بفضل ربي ونعمته حياة أبي رأس الذاتية والعلمية، تح وتق، محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت)
- 5- الجزائري محمد بن عبد القادر ، تحفة الزائر في مآثر عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، مطبعة التجارية غرزوزي، جاويش، الإسكندرية، مصر، 1903.
- 6- الجزائري محمد بن ميمون ، التحفة المرضية في أخبار الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق وتتح، محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 7- خوجة حمدان بن عثمان ، المرأة، تح، محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005.
- 8- الراشدي ابن سحنون ، الثغر الجمانى في ابتسام الثغر الوهراني، اعتنى به عبد الرحمن دويب، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- 9- الزهار أحمد الشريف ، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر 1754-1830، تح، أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- 10- الزباني محمد بن يوسف ، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح وتق، المهدي بوعبدلي، اعتنى به عبد الرحمن دويب، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- 11- سبنسر وليم ، الجزائر في عهد رياس البحر، تح، عبد القادر زبادية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006.

قائمة المصادر والمراجع

- 12-شالر وليام ، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تع وتق وتع، إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.
- 13-شعيب محمد المهدي علي ، أم الحواضر في الماضي والحاضر تاريخ مدينة قسنطينة، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، 1980.
- 14-الضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس عهد الأمان، ج3، دار العربية للكتاب، 1999.
- 15-الطار أحمد بن المبارك ، تاريخ بلد قسنطينة، تح وتع وتق، عبد الله الحمادي، دار الفانز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011.
- 16-العنزي محمد الصالح ، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، تع، يحي بوعزيز، دار هومة، الجزائر، 2007.
- 17-كاثرت جيمس ليندر ، مذكرات أسير الداوي، كاثرت قنصل أمريكا في المغرب، تر وتع وتق، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- 18-المزاري بن عودة ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وفرنسا في أواخر القرن 19، تح، يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990.
- 19-مؤلف مجهول، تاريخ بايات قسنطينة، المرحلة الأخيرة، تح، حساني مختار، منشورات دحلب، الجزائر، 1999.
- 20-الورتلاني الحسين بن محمد، الرحلة الورتلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006.
- 21-وولف جون ، الجزائر وأروبا 1500-1830، تع، أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، الجزائر، 2008.

ت-المراجع:

*المراجع باللغة العربية

- 1-أحميدة عميراوي ، الجزائر في أديات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003.
- 2-أشرف مصطفى ، الجزائر والأمة والمجتمع، تر، حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

قائمة المصادر والمراجع

- 3-بسكر محمد ، الإنتاج المعرفي لمدينة قسنطينة ما بعد دولة الموحدين معالمه وأعماله، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة- الجزائر، 2015.
- 4-بوروينة رشيد ، وهران فن وثقافة، وزارة الإعلام، الجزائر، [د.ت].
- 5-بوعزيز يحي ، وهران، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر.
- 6-الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ت).
- 7-الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام، ج3، دار الأمة، الجزائر، 2003
- 8-الجيلالي عبد الرحمن بن محمد ، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1982.
- 9-الجيلاني عبد الرحمن ، تاريخ المدن الثلاث، الجزائر، المدينة، شركة إدارة الأمة، الجزائر، 2014.
- 10-حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر العثماني، ط1، دار الهدف، 2008.
- 11-دحدوح عبد القادر ، قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية، دراسة تاريخية أثرية، ط1، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2015.
- 12-الزبيري محمد العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، في العهد العثماني (1830-1972)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968.
- 14-سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1500، ط1، ج1، دار الغرب، 1998، بيروت-لبنان.
- 15-سعيدوني ناصر الدين ، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 16-سعيدوني ناصر الدين ، الوقف في الجزائر أثناء القرنين 18 و 19 معالجة مصادره وإشكالية البحث فيه، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر.
- 17-سعيدوني ناصر الدين ، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2008.
- 18-السليمان أحمد ، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، مطبعة دحلب، الجزائر، 1987.

- 19-شنتوف طيب، دراسات في تاريخ الجزائر خلال القرنين 18 و19، تر، أوداينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، 2015.
- 20-شويتام أرزقي ، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519- 1830، ط1، دار الكتاب العربي،الجزائر،2009.
- 21-صالح فركوس، تاريخ الجزائر من قبل التاريخ الى غاية استقلال السواحل الكبرى، دار العلوم للنشر والتوزيع، عناية، 2005.
- 22-عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي، 1514-1830، دار هومة، الجزائر، 2012.
- 23-عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
- 24-غطاس عائشة ، الدولة الجزائرية الحديثة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 7954، سلسلة المشاريع الوطنية الحديثة، وزارة المجاهدين، الجلفة، 2007.
- 25-فركوس صالح ، الحاج أحمد باي قسنطينة، 1826-1850، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- 26-فشي فاطمة الزهراء ، سجل صالح باي للأوقاف (1185-1207/1771م-1792م)، تصدير عبد الجلي التميمي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- 27-قشي فاطمة الزهراء ، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة، 2005.
- 28-الكعاك عثمان ، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تقديم أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 2003.
- 29-مريوش أحمد ، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007.
- 30-المدني احمد توفيق ، جغرافية القطر الجغرافي للناشئة الإسلامية، مطبعة العربية، الجزائر، 1948م
- 31-المدني أحمد توفيق ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1793)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- 32-المدني أحمد توفيق ، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 بمسيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

33مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، [د.ت].

34الميلي مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق وتص، محمد ميلي، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، [د.ت].

*المراجع باللغة الأجنبية:

1-ERNEST. MERCIER, Histoire de Constantine, Marl et F. Biron, imprimeurs, Editeurs 51, Constantine, 1903, p266.

ث-المجلات

*المجلات باللغة العربية:

1-البوعبدلي المهدي ، "الرباط والفداء في وهران والقبائل الأخرى"، مجلة الأصالة، ع13، الجزائر، 1973.

2-رقاد سعدية ، "المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (1700-1830)"، مجلة العصور الجديدة، ع2، 2018.

3-سعيدوني ناصر الدين ،"الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر- تونس- طرابلس- المغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر (من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر، "حوليات الأدب والعلوم الإنسانية، عدد13، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، 2010، البصائر للنشر والتوزيع،الجزائر، 2013.

4-ناصر الدين سعيدوني، "المعاهدة الجزائرية الاسبانية"، مجلة الدراسات التاريخية، ع7، الجزائر.

5-شرف عبد الحق ، "تراجم لبعض علماء مدرسة الباوي في وهران من خلال بعض الآثار المخطوطة"، مجلة كان التاريخية، ع23، 2014.

6-شرويك محمد الأمين ، "جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة والتعليم في الجزائر العثمانية على ضوء المصادر المحلية والأجنبية"، مجلة العلوم الإسلامية، عدد 8، أفلو-الجزائر، 2018.

7-شقرون إكرام ، مصطلح الرباط المفهوم والدلالة، دورية كان التاريخية، ع18، ديسمبر 2012.

8-طاهري عبد الحليم، "تأثير الجانب الاجتماعي في تكوين شخصية صالح باي السياسية والاقتصادية"، علم الآثار، جامعة عباس غرور، خنشلة.

- 9-بن عتو بلبورات ، "أضواء حول مدينة تلمسان خلال العهد العثماني"، مجلة الحوار المتوسطي، ع1، جامعة سيدي بلعباس.
- 10-بن عتو بلبورات ، "الباي محمد الكبير باي وهران (1779-1797) حياته وسيرته"، مجلة العصور الجديدة، ع3، وهران، 2003.
- 11-قاصري محمد السعيد ، "المدرسة الكتانية بقسنطينة يصارع النسيان"، مجلة العصور الجديدة، ع18، أوت 2015.
- 12-قشي فاطمة الزهراء ، "معالم قسنطينة وأعلامها"، مجلة إنسانيات، ع19-20، جوان 2003.
- 13-مشرفي جميلة وبوغفالة ودان، "الأسواق في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (1519-1830)"، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، ع1، جامعة معسكر، 2017.

*المجلات باللغة الأجنبية:

1. A.BERBOGER, "Documents sur alger a l'époque du consulat et de l'empire", R.A, N°32.
2. A.BERBRUGGER, "la province de Constantine, les anciens établissement religieux musulmans de Constantine" in R.A, N°12, 1868.
3. CHRLES, FERAUD, "Ferdgioua et Zouar'a. Notes historiques sur la province, de Constantine", in, R.A, N°22, 1878.
4. GORGUCES, A, " NOTICE SUR LE BEY D'ORAN MOUHAMMED ELKBIR", IN R-A, n°1, 1856.
5. Leclerc, Cherbonneau, "Inscriptions arabes de Mascara Mosquée d'Ain Beidha" in R.A, N°4, 1860

ج-المذكرات والأطروحات:

- 1-بلغيث عبد القادر ، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2013-2014.

- 2-بوجلال قدور، مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات (1671-1830)، رسالة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران، 2016-2017.
- 3-شاعر كمال، بايلك قسنطينة من خلال وثائق المجموعة 1641 المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية (1757-1792م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2004-2005.
- 4-صحراوي كمال ، أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012-2013.
- 5-طاهري عبد الحليم، مدرسة صالح باي ومقبرته العائلية في حي سوق العصر بمدينة قسنطينة، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008-2009.
- 6-بن عتو بلورات ، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري (1778-1779م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإسلامية، 2001-2002.
- 7-فليسي نادية ، أوضاع الجزائر من عهد محمد بن عثمان باشا إلى غاية عهد حسين باشا (1766-1836م / 1179-1245-1246هـ) - الأوضاع السياسية والاقتصادية نموذجا؛ أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ العام، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، 2017-2018.
- 8-كشرود حسان ، رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية 1659-1830، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة.
- 9-معمر سميرة طالي ، القوى المحلية في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني (1206-1246هـ/1792-1831م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2009-2010.
- 10-يمينه سعودي ، الحياة الأدبية في قسنطينة (خلال الفترة العثمانية)، مذكرة ماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الاخوة منتوري، قسنطينة، 2005-2006.

ح-القواميس والمعاجم:

- 1-صابان سهيل ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، 2000.

فهرس الموضوعات

فهرس المحتويات:

شكر وعرفان	
مقدمة	
الفصل الأول: التعريف بصالح باي وانجازاته (1725-1792/1771-1792)	
10-7	أولاً: نشأته
7	1- مولد صالح باي (1725-1792)
8-7	2- خصاله
9-8	3- توليه الحكم (1771-1792)
10-9	4- وفاته
22-10	ثانياً: إنجازاته وأعماله
12-10	1- نشاطاته السياسية والإدارية
15-12	2- أعماله الحربية
18-15	3- مشاريعه الاقتصادية ومنشاته العمرانية
22-18	4- خدماته الثقافية والاجتماعية
الفصل الثاني: التعريف بمحمد الكبير وانجازاته (1734-1799/1778-1792)	
27-24	أولاً: نشأته
25-24	1- حياة محمد الكبير (1734-1799)
25	2- صفاته
26	3- تدرجه في الحكم (1778-1792)
27-26	4- وفاته
42-27	ثانياً: أعماله وإنجازاته
29-27	1- تنظيماته الإدارية والسياسية
31-29	2- أعماله العسكرية
38-31	3- سياسته في المجال الاقتصادي ومشاريعه العمرانية
42-39	4- إصلاحاته الاجتماعية ومآثره الثقافية

الفصل الثالث: دراسة مقارنة بين أعمالهما	
45-42	أولاً: أوجه التشابه
43-42	1- من حيث أعمالهما الحربية
43	2- إهتمامهما بالجانب الفلاحي والمحاصيل الزراعية
44-43	3- إهتمامهما بالمنشآت العمرانية
45-44	4- إهتمامهما بالأوقاف
45	5- إهتمامهما بتشجيع الحركة العلمية
56-45	ثانياً أوجه الاختلاف
46	1- من حيث تحرير المدن (وهران)
47-46	2- من حيث الضرائب المفروضة
50-48	3- من حيث تقديم الدنوش (وقت القدوم والمنتجات المقدمة)
51-50	4- الاهتمام بالصحة والمجتمع
52-51	5- من حيث تشجيع حركة النسخ والتأليف
56-52	6- عداء صالح باي لشيوخ الزوايا والمرابطين عكس محمد الكبير
63-60	الخاتمة
72-64	الملاحق
81-74	قائمة المصادر والمراجع
84-82	فهرس الموضوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ